سبيل الفلاح في فقه الصلح والإصلاح

يعرض أحكامهما وضوابطهما في الأفراد والأُسر والجماعات والمعاملات غايته جمع القلوب وحفظ الحقوق، وإطفاء الفتن وسدّ أبواب النزاع فهو بإذن الله زاد للمصلحين في كيفية التعامل مع قضايا الإصلاح بين الناس على ضوء الكتاب والسنة

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

تأليف
أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع بن غالب
الوُرَيْفي الحُوبَاني
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

سَبِيلُ الفَلَاحِ

في

فِقْهِ الصُّلْحِ وَالإِصْلَاحِ

يعرض أحكامهما وضوابطهما في الأفراد والأُسر والجماعات والمعاملات غايته جمع القلوب وحفظ الحقوق، وإطفاء الفتن وسدّ أبواب النزاع فهو بإذن الله زاد للمصلحين في كيفية التعامل مع قضايا الإصلاح بين الناس على ضوء الكتاب والسنة.

تأليف

أبي المنذر عمار بن عبد الحليم الحوباني

غفر الله له ولوالديه

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية محققة ومزيدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي وحّدَ بين القلوبِ بعد شتاتِها، وألّفَ بين الأرواحِ بعد عداوتِها، وأطفأَ بنورِ الإيمان نيرانَ شقاقِها وخصوماتِها، فصار المؤمنون إخوةً في الدين، بعد أن كانوا أعداءً متخاصمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي أمرَ بالإصلاح ووعدَ عليه بالرحمة والغفران، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه سيدُ ولدِ عدنان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام، ما تعاقبَ الليل والنهار، وسلمَ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

أيها القارئ الكريم: إنَّ من أجلّ أبواب الدين وأعظمها أثرًا في حياة الأفراد والمجتمعات: باب الإصلاح بين الناس، فهو عبادة جليلة، وقربة عظيمة، تجمع بين حقوق الخالق وحقوق الخلق، وتحفظ للأمة وحدتها، وتسدّ أبواب الفتنة والفرقة.

وما أحوج الأمة اليوم إلى مصلحين يجمعون على الحق ولا يفرّقون، ويؤلفون ولا يشتتون، ويطفئون نيران العداوات قبل أن تستعر وتأتي على الأخضر واليابس.

وقد جاء في القرآن العظيم من الآيات البينات ما يدلّ على رفعة شأن هذا الباب، حتى جعله الله من أسباب رحمته.

فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

فجعل الإصلاح بين المتخاصمين سبيلًا إلى رحمة الله ورضوانه.

وجاءت السنة النبوية شاهدةً على عظم قدر الإصلاح، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيامِ وَالصَّلاةِ وَالصَّدَقَةِ؟»

المقدمة

قالُوا: بَلى يا رَسُولَ اللهِ.

قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِصْلاحُ ذاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسادَ ذاتِ الْبَيْنِ هِيَ الحالِقَةُ»(١)

فهذا الحديث يبين أن الإصلاح بين الناس أعظم أجرًا من النوافل العظام، لأن به حياة المجتمع وصيانة الدين.

وليس الإصلاح مقصورًا على جانب دون آخر، بل يشمل إصلاح القلوب من الضغائن، وإصلاح البيوت من الشقاق، وإصلاح الأموال والحقوق من النزاعات، وإصلاح الجماعات من الفتن والخصومات.

فهو باب واسع تدخل فيه الشريعة بأحكامها وقواعدها، وتظهر فيه مقاصدها العظيمة في جمع الكلمة، وحفظ الدماء، وصيانة الحقوق.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إمام المصلحين، يصلح بين

---

(١) رواه أبو داود (٤٩١٩) والترمذي (٢٥٠٩) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٧٠).

أصحابه إذا تخاصموا، ويؤلف بين قلوب الأوس والخزرج بعد ما كان بينهم من عداوة مستحكمة، ويضع الأسس المتينة لبناء مجتمعٍ متماسك.

وعلى هذا النهج سار أصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان، فكانوا قدوة في جمع الناس على الحق، وردّهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ولأهمية هذا الموضوع، ولِما رأيتُ من حاجة الأمة الماسّة إليه في هذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن، وتشعّبت فيه الأهواء، وتنوعت فيه أسباب الخصومات، شرعتُ في هذا الكتاب الذي وسمتُه

بـ: «سبيل الفلاح في فقه الصلح والإصلاح».

وإني إذ أقدم هذا الجهد، فإني أرجو أن يكون خالصًا لله، نافعًا للناس، باعثًا لهم على التنافس في الخير، وداعيًا لهم إلى الاجتماع على الحق، والبعد عن الفتن والخصومات.

وأسأل الله أن يجعله ذخرًا لي يوم ألقاه، وأن يتقبله بقبول حسن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين

المقدمة

كَتَبَهُ

أبو المنـــــذر

عـمـار بن عبـد الجـليـل

ابـــن هـــزاع الـــوريـــفـــي

الحـــــــــــوبـــــــانـــــي

عَـفَـا اللهُ عَنْـــهُ، وَغَـفَـــرَ لَـهُ وَلِـوَالِـدَيْـــــهِ.

دار الحـديـث السـلـفـيـة بشـحـوح -سيـئـون-حـضـرموت

لـــســـنـــة ١٤٤٧ مـن هـــجـــرة النَّبِيّ مـحـمـــــد- ﷺ-.

الفصل الأول:

التعريف بالصلح والإصلاح والفرق بينهما

الفصل الأول:

من أول ما يلزم المصلح معرفته: حقيقة ما يدعو إليه.

فإن غموض المفاهيم يؤدي إلى اضطراب النتائج، ولهذا كان من الضروري البدء بتعريف الصلح والإصلاح، وبيان الفروق بينهما، ليقوم البحث على أساس صحيح، وتبنى الأحكام على فهم راسخ.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** تعريف الصلح لغة واصطلاحًا.
- **المبحث الثاني:** تعريف الإصلاح لغة واصطلاحًا.
- **المبحث الثالث:** الفرق بين الصلح والإصلاح.

المبحث الأول: تعريف الصلح لغةً واصطلاحًا

أولًا: الصلح في اللغة

الصلح في أصل اللغة ضد الفساد.

يقال: صَلَح الشيء إذا زال فساده واستقام حاله.

ومنه قولهم: رجل صالح، أي مستقيم الحال، بخلاف الفاسد.

فالصلح يدل على إزالة الفساد وجلب الاستقامة.

ثانيًا: الصلح في الاصطلاح

التعريف بالصلح والإصلاح والفرق بينهما

الصلح عند الفقهاء: عقدٌ يُرفع به النزاع، وتُقطع به الخصومة بين طرفين أو أكثر، على وجه مشروع، وبرضا الجميع.

ويدخل في ذلك الصلح على الأموال والديون، والصلح في الدماء والجنايات، وسائر صور المعاملات.

المبحث الثاني: تعريف الإصلاح لغةً واصطلاحًا

أولًا: الإصلاح في اللغة

الإصلاح ضد الإفساد.

يقال: أصلح الشيءَ إذا أزال فساده وأعاد نظامه وهيأه للاستقامة.

ثانيًا: الإصلاح في الاصطلاح

الإصلاح في المعنى الشرعي أوسع من الصلح؛ إذ هو بذل الجهد في إزالة أسباب النزاع والخلاف، وجمع القلوب على الحق والخير، سواء تحقق ذلك بعقدٍ ورضا متبادل -كما في الصلح- أو تحقق بمجرد النصح والسعي والكلمة الطيبة.

فالإصلاح أشمل وأوسع من الصلح.

المبحث الثالث: الفرق بين الصلح والإصلاح

يمكن تمييز الفروق بينهما في جملة نقاط:

من حيث الطبيعة:

الصلح: عقد ملزم له أركان وصيغة، يقوم على اتفاق الطرفين.

الإصلاح: مساعٍ ومحاولات، قد تنجح وقد لا تنجح، وليست عقدًا لازمًا.

التعريف بالصلح والإصلاح والفرق بينهما

من حيث المجال:

الصلح: يختص غالبًا بالمعاملات المالية والحقوق الخاصة.

الإصلاح: أوسع، يشمل إصلاح القلوب، ورفع الشحناء، وحل النزاعات الأسرية والاجتماعية، بل حتى بين الدول والجماعات.

من حيث الغاية:

الصلح: يهدف إلى إنهاء خصومة بعقد وتراضٍ.

الإصلاح: يهدف إلى إزالة أسباب النزاع ابتداءً، وبث روح الألفة ولو بلا عقد.

من حيث الحكم الفقهي:

الصلح: مذكور في كتب الفقه ضمن العقود، وتترتب عليه أحكام لازمة.

الإصلاح: مذكور في كتب الآداب والأخلاق والفضائل، ويُعد من أعظم القربات.

الفصل الثاني:

فضائل الإصلاح

الفصل الثاني:

الإصــلاح بين الناس من أعظم القربات التي أمر الله بها في كتابه، وحث عليها رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في سـنته، لما فيه من إطفاء نار الفتن، وجمع القلوب، وحماية المجتمع من التمزق.

ولأجل ذلك رفع الشـرع قدر المصـلحين، وجعل الإصـلاح عبادة يتقرب بها إلى الله، وقدمها على كثير من أعمال النوافل.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** فضائل الإصلاح في القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني:** فضائل الإصلاح في السنة النبوية.
- **المبحث الثالث:** أثر الإصلاح في حياة الأفراد والمجتمعات.

المبحث الأول: فضائل الإصلاح في القرآن الكريم

الإصلاح ورد في كتاب الله في مواضع متعددة، دالًا على أنه من أجلّ الطاعات.

قال جل وعلا: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

حصر الله الخير في مجالس الناس في هذه المواطن الثلاثة، وجعل الإصلاح منها، مما يدل على عظم مكانته.

فضائل الإصلاح

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الإصلاح ركن في بناء الأمة، وأساس في دوام المودة والألفة، وأنه عبادة عظيمة لا يجوز للمسلم أن يغفل عنها.

الإصلاح من أعظم مقاصد الشرع، وأنه السبيل لبقاء الأمة قوية، والقلوب متآلفة، والحقوق محفوظة.

ومن تأمل هذه الآيات علم أن الإصلاح لا ينحصر في صورة واحدة، بل يشمل الأسرة، والمجتمع، والعلاقات العامة، بل حتى علاقة العبد بربه.

لقد ذكر الله على لسان نبيه شعيب عليه السلام صدق النية في الإصلاح، مقرونًا بالتوكل على الله.

فقال سبحانه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

وفي هذه الآية بيان أن الإصلاح عبادة مقصودة لله، لا مطمعًا دنيويًّا ولا رياءً اجتماعيًّا، بل نية خالصة، وتوكل صادق، وافتقار دائم إلى

عون الله.

فمن صدق في قصده أعانه الله وأثمر سعيه.

وجاء الأمر بالإصلاح في باب النكاح والطلاق، حيث تكثر المشكلات وتشتد النزاعات.

فقال جل وعلا: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥].

وهذه الآية تدل على أن التوفيق مرهون بالنية، وأن الله تعالى يجعل البركة في جهود من قصد الإصلاح، وأن النزاعات الزوجية لا تُحل بالقهر أو الظلم، وإنما بروح الإصلاح وطلب الأجر عند الله.

فضائل الإصلاح

كما جعل الله الإصلاح سبيلًا لدفع الظلم في العلاقات الزوجية أيضًا.

فقال سبحانه: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ [النساء: ١٢٨].

فهذه الآية الكريمة أصل في مشروعية الصلح بين الزوجين إذا ظهر الخلاف، وجعلت قاعدة عامة خالدة: «الصلح خير»، ليتقرر أن الإصلاح ليس خيارًا ثانويًا، بل هو الحل الأمثل ما دام مشروعًا ومبنيًا على العدل.

وبيّن الله تعالى أن الإصلاح يرفع آثار الفساد في المجتمع.

فقال عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة هود:١١٧].

فهذه الآية تبين أن الإصلاح صمام أمان للمجتمعات، وسبب لدفع

عذاب الله، فإذا غلب الفساد هلكت الأمم، وإذا قام فيها المصلحون رفع الله البلاء، وبقيت الأمة في أمن واطمئنان، فالمصلحون هم سر بقاء الأمم وقوتها.

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

فضائل الإصلاح

هذه الآية من أعظم أدلة الإصلاح، فهي تأمر به حتى في أشد النزاعات، عند وقوع القتال بين طائفتين من المؤمنين؛ فكيف بما هو دون القتال من خلافات أسرية أو خصومات مالية أو نزاعات اجتماعية؟ إن الأمر فيها من باب أولى.

وقد تضمنت الآية ثلاث قواعد كبرى:

- «وجوب الإصلاح».
- «وجوب العدل فيه».
- «بيان أن الله يحب المصلحين المقسطين».

فهي منهج متكامل للإصلاح، من بدايته حتى نهايته؛ كما أمر سبحانه بحسن الرد في التحية.

فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٦].

وهذه الآية وإن كانت في ظاهرها في باب التحية، فهي في حقيقتها إصلاح للعلاقات الاجتماعية، إذ السلام وبذل التحية يزرع المودة

ويطفئ نار العداوة، فصار الرد الحسن من صور الإصلاح التي تبني جسور الألفة بين المسلمين.

وجاء التحذير من الإفساد بعد الصلاح.

فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٦].

فضائل الإصلاح

فهذه الآية العظيمة تحذر من إفساد العلاقات بعد إصلاحها، ومن إعادة الخصومات بعد أن هدأت النفوس، فإن ذلك أعظم جرمًا، وأشد أثرًا في تدمير المجتمع، فالإصلاح لا قيمة له إذا أعقبه إفساد، وإنما تمامه بالثبات عليه وحفظه من التراجع.

إن الإصلاح في القرآن أصل عظيم من أصول الاجتماع، وبه تُقام الحياة وتستقر النفوس.

وقد جاء الأمر به في آيات كثيرة ومتنوعة، تخاطب الأفراد والأسر والجماعات والدول، في السلم والحرب، في الأموال والحقوق، في العهود والمواثيق.

وهذا يدل على أن الإصلاح قاعدة شاملة لا تخص بابًا واحدًا من الدين، بل تمتد لتغطي حياة الأمة كلها.

لقد جاء في شأن الإصلاح نصوص واضحة تصرح بأنه قرين الإيمان والتقوى، وأن تركه سبب للفتن والفرقة.

ومن تأملها علم أن الله جعل الإصلاح علاجًا دائمًا لكل نزاع، وسبيلًا جامعًا لكل مجتمع يريد الاستقرار.

قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ١]

هذه الآية نزلت في سياق الغنائم التي هي مظنة النزاع، فجاء الأمر بالتقوى والإصلاح معًا، ليبين أن صلاح القلوب لا يكفي ما لم يصلح الناس فيما بينهم. فالإيمان الحق لا يكون حبيس القلب، بل يظهر أثره في جمع الكلمة وردّ النزاع.

فمتى قصر المسلم في إصلاح ذات البين كان ذلك دليلًا على نقص تقواه، ومتى سعى في الإصلاح كان ذلك برهانًا على صدق إيمانه.

فضائل الإصلاح

ولهذا اعتبر العلماء هذه الآية قاعدة عامة، تصلح أن تكون مبدأ لكل مصلح في كل زمان ومكان.

لقد جعل الله الأخوة الإيمانية أساس المجتمع المسلم، وربطها عمليًا بالإصلاح، إذ لا معنى للأخوة مع استمرار الخصومة.

فالأمة لا تحيا بشعارات، وإنما تحيا بأعمال صادقة تبني الألفة وتسدّ أبواب النزاع.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠]

هنا يقرر الله حقيقة كبرى: أن المؤمنين إخوة، ثم يُتبعها بالأمر بالإصلاح عند وقوع الشقاق، ليبقى المجتمع متماسكًا.

فالأخوة ليست دعوى تُرفع، بل سلوك يُمارس، والإصلاح هو ميزان صدقها؛ ولذلك فإن ترك الإصلاح مع القدرة عليه نقض للأخوة الإيمانية.

وهذا يبين أن الإصلاح ليس خيارًا تطوعيًا، بل هو واجب في أحوال

كثيرة، يتأكد إذا أدى النزاع إلى قطيعة أو عداوة.

فمن وفقه الله للإصلاح بين اثنين، فقد أحيا فريضة من أعظم فرائض الإسلام.

والصلح إذا تحقق عاد بالخير على الجميع، ولذلك جاء التعبير القرآني في صورة قاعدة عامة تصلح لكل حال.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ﴾ [النساء: ١٢٨]

هذه الكلمة الموجزة قاعدة جامعة، تبين أن الصلح خير في كل موضع، ما لم يتضمن محرمًا.

فضائل الإصلاح

وقد نزلت الآية في سياق الزوجين إذا وقع بينهما شقاق، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فكل صلح مشروع بين الناس فهو خير، سواء في الأموال أو العقود أو الدماء أو غيرها.

وهذه الآية تصلح أن تكون شعارًا لكل مصلح، لأنها تُعطيه الثقة بأن عمله خير على الإطلاق.

وهي أيضًا ترد على من يزين النزاع أو يهوّن من الشقاق، فإن الخير كله في الصلح، والشر كل الشر في الفتنة والفرقة.

وقد بيّن الله أن أكثر حديث الناس لا خير فيه، إلا إذا تضمن إصلاحًا أو ما يعين على البر.

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤]

هذه الآية تقرر مبدأً عظيمًا: أن الأصل في كلام الناس أنه لا خير فيه،

لأن أكثره لغو أو باطل.

لكن إذا كان الحديث في صدقة أو معروف أو إصلاح، فهو خير محض.

وجعل الإصلاح في عداد هذه المستثنيات الثلاث دليل على عظم شأنه، فكل مجلس يفضي إلى إصلاح بين متخاصمين هو مجلس خير، تُرفع فيه الدرجات وتكفَّر السيئات.

فضائل الإصلاح

وهذه دعوة للمسلم أن يكون كلامه في مجالسه نافعًا، وأن يجعل مناصحته وإصلاحه طريقًا لكسب الأجر العظيم.

قال الإمام الطبري رحمه الله:

وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به. ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك، فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء: ١١٤]. اهـ[1].

ومن فضائل الإصلاح أنه يفتح أبواب المغفرة والنجاة من العذاب، إذا كان نابعًا من إخلاص لله لا رياء فيه.

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٩].

هذه الآية تبين أن من أعظم صور الخير عفو الإنسان عن إساءة أخيه، والعفو أصل في الإصلاح.

---

(١) «تفسيره جامع البيان -ط هجر» (٧/ ٤٨١).

فالمصلح إذا حمل الناس على الصفح والعفو، كان ذلك من أعظم أبواب الخير.

وقد قرن الله العفو باسمه «**العفو القدير**»، ليبين أن من عفا عن الناس نال عفو الله وقدرته.

والإصلاح لا يتم غالبًا إلا بالعفو والتنازل، ولهذا جاءت هذه الآية قاعدة في فضله، إذ تفتح للمسلم باب مغفرة ربه إذا فتح لأخيه باب العفو والصفح.

وبيّن الله أن الفساد في الأرض سبب للهلاك، وأن الإصلاح سبب للنجاة.

فضائل الإصلاح

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٦].

هذه الآية من جوامع الكلم في القرآن، فهي تنهى عن كل فساد، وتدل على أن الأصل في حال الأرض هو الإصلاح، سواء بإقامة العدل أو نشر التوحيد أو صلة الأرحام.

فالذي يسعى في الفساد بعد الإصلاح، إنما ينقض نظام الكون ويعارض سنة الله.

والمصلح هو الذي يسعى لإعادة الأمور إلى نصابها، فيكون عمله امتدادًا لسنن الله في الكون.

وهذه الآية تجعل الإصلاح فريضة عامة على البشرية، وتدل على أن بقاء العمران والحياة مرهون بانتشاره، كما ربط القرآن بين الإصلاح

والتوفيق الإلهي، ليبين أن المصلح لا يعتمد على نفسه وحدها.

قال الله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء: ٣٥]

هذه الآية وردت في شأن الزوجين إذا وقع بينهما نزاع، لكنها قاعدة عامة: أن شرط التوفيق في الإصلاح أن يكون القصد خالصًا لله؛ فإذا خلصت النية، تولى الله التوفيق، وإذا شابها هوى أو رياء، لم يبارك الله فيها.

فهي تربي المصلحين على الإخلاص، وتبين لهم أن عملهم لا ينجح إلا بتوفيق الله.

وهذا يجعل المصلح دائم اللجوء إلى ربه، مستعينًا به في كل خطوة، عالِمًا أن القلوب بين أصابع الرحمن.

المبحث الثاني: فضائل الإصلاح في السنة النبوية

لقد جاءت السنة النبوية مؤكدة لما ورد في القرآن من فضل الإصلاح، بل فصلت في شأنه تفصيلًا يبين منزلته العظيمة، ويجعل الساعي فيه في مصافِّ عباد الله الصالحين.

والإصلاح في السنة ليس مجرد سلوك اجتماعي، بل عبادة جليلة تعلو على كثير من أعمال النوافل، لما فيها من حفظ جماعة المسلمين، وصيانة دمائهم وأعراضهم، ودفع الفتن والشرور عنهم.

ومن تأمل الأحاديث الواردة فيه، علم أن الإصلاح لبّ الدين وروحه، وأنه من القربات المستمرة التي يحتاجها المجتمع في كل زمان ومكان.

الإصلاح أعظم من النوافل، لأن نفعه متعدٍّ يشمل الجماعة كلها؛

ولذا قدّمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على الصيام والصلاة والصدقة، التي هي عبادات فردية.

فالذي يسعى لإزالة الخصومات يجمع الأمة ويحفظ دينها، بينما الذي يترك الناس في نزاعهم يقصّر في واجب عظيم؛ لما جاء عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟**»

قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: «**إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ**»(١)

فضائل الإصلاح

هذا الحديث أصل في فضل الإصلاح، إذ جعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل من نوافل العبادات، لأنه يحفظ أصل الدين والجماعة.

وقد شبّه فساد ذات البين بـ «**الحالقة**»، أي التي تستأصل الدين كما تستأصل الموسى الشعر.

فالإصلاح يعيد للدين قوته، وللأمة وحدتها، ويكفي المصلح أن يعلم أنه بفعله هذا يحمي الدين من الهلاك، وينال أجرًا عظيمًا يفوق أجر العبادات الفردية.

فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الإصلاح من الصدقات التي يؤديها المسلم كل يوم، شكرًا لله على مفاصله.

فكما أن الإنسان يشكر الله بالصلاة والذكر، يشكره أيضًا بالإصلاح

---

(١) رواه أبو داود (٤٩١٩) والترمذي (٢٥٠٩) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٥٨).

بين الناس، لأن به تستقيم حياة المجتمع، وتبقى الروابط متينة، لما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ...»(١)

هذا الحديث يوسع مفهوم الصدقة، فيجعل الإصلاح عبادة يومية لا تنقطع، كأنها واجب متكرر، يؤدي به المسلم شكر نعم الله عليه.

فضائل الإصلاح

ومن تدبر وجد أن كل إصلاح يقوم به المسلم، ولو في أبسط صورة، هو بمثابة صدقة تُكتب له، فتكون حياته كلها مليئة بالحسنات ما دام يسعى لخير الناس.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أراد أن يعلّم الأمة أن أفضل ما يُقدّم من الصدقات ليس مقصورًا على المال، بل في جمع القلوب على الألفة.

فالمصلح إذا أصلح بين متخاصمين كان عمله أحب إلى الله من كثير من النفقات، لأن أثره باقٍ في النفوس. لما جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ»(٢)

هذا الحديث يرفع قدر الإصلاح حتى يجعله من أفضل القربات، لأنه يحفظ وحدة الأمة ويزيل أسباب العداوة.

فالمصلح في الحقيقة يتصدق على المجتمع كله، لأنه يحميه من

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٤٢٣٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٦٣).

الفتن، ويشيع فيه الأمن، وهذا من أعظم ما يدل على أن أبواب الخير في الإسلام واسعة، وأن الإصلاح رأسها.

ومن دلائل الترغيب أن الله جعل لكل كلمة في الإصلاح أجرًا عظيمًا، حتى عُدلت بعتق الرقاب، وهذا يبين أن الإصلاح ليس مجرد فضل، بل باب من أبواب العتق والنجاة.

لما جاء عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَعْطَاهُ اللهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ»(١)

فضائل الإصلاح

إن هذا الفضل العظيم يحفز المسلم أن يغتنم كل فرصة في الإصلاح، ولو بكلمة يسيرة.

فقد يظنها بسيطة، لكنها عند الله عظيمة، تكفر بها السيئات، وتعتق بها الرقاب.

فالمصلح في الحقيقة يحرر الناس من أسر الشيطان كما يحرر الرقاب من العبودية، وكلاهما من أعظم القربات.

والمصلح بين الناس في الحقيقة ينقذهم من عداوة الشيطان، ويجعلهم في حرز من مكره، لأن الشيطان أعظم ما يفرحه أن يفرق بين المؤمنين.

ولذا جاءت النصوص تبين أن الإصلاح من أعظم ما يُرضي الله ورسوله، لما فيه من إطفاء نار الفتنة، وإقامة أواصر المحبة.

لما جاء عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٠٨٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٦٢).

لَهُ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ يُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ مَوْضِعُهَا؟»

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: «تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَتُقَرِّبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»(١)

وفي هذا الحديث يرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى أن أعظم الصدقة ما كان أثره في القلوب، لا في الأموال.

فالمصلح بين الناس يتقرب إلى الله بعمل يرضيه سبحانه لأنه يحمي الأمة من الفرقة.

فضائل الإصلاح

وفيه بيان أن الإصلاح ليس مجرد نفع دنيوي، بل هو عبادة خالصة يتقرب بها المسلم إلى ربه، ويجعلها من أعظم الصدقات.

والناس قد يظنون أن كثرة الكلام في مجالسهم نافعة، لكن أكثره لغو وباطل، فجاء الشرع يستثني ثلاثة أبواب، منها الإصلاح بين الناس، ليدل على علو شأنه

قال الإمام البخاري في صحيحه بابُ ما جاءَ في الإِصلاحَ بينَ الناسَ، وقولِ اللهِ تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء: ١١٤].

وخُروجِ الإِمامِ إلى المواضعِ ليُصْلحَ بينَ الناسِ بأصحابِه

ثم ساق إسناده إلى أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٣٩٢٢) وحسنه لغيره الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٧٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ، وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ. فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ!.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللهِ لَحِمَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ. فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ، وَالنِّعَالِ، وَالْأَيْدِي. فَبَلَغَنَا أَنَّهَا أُنزِلَتْ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[1].

فضائل الإصلاح

فإذا كان أكثر الكلام لا خير فيه، فالإصلاح من القليل الذي فيه الخير كله.

والمصلح حين يسعى بين الناس بكلمة أو جهد، فهو داخل في هذا الثناء القرآني، فينال شرف تزكية الله له، وهذا أعظم ما يرجوه المؤمن.

الإصلاح سبب للبركة في الأموال والأولاد والأعمار، لأن الشحناء والعداوة سبب للمحق واللعن.

وقد جاء الشرع بالتحذير من الفساد في الأرض، وجعل الإصلاح من أعظم أبواب النجاة؛ ولما جاء عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ: إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِ مُسْلِمٍ، أَوْ كَشْفُ كُرْبَةٍ، أَوْ قَضَاءُ دَيْنٍ، أَوْ طَرْدُ جُوعٍ، أَوْ إِصْلَاحٌ بَيْنَ اثْنَيْ»[2]

---

(١) البخاري رقم (٢٦٩١).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٧٤٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب»

هذا الحديث يبين أن الإصلاح ليس أدنى من أعمال البر الأخرى، بل هو في مصافّها.

فمن أصلح بين اثنين كان عمله محبوبًا عند الله، كمن أطعم جائعًا أو قضى دينًا، وهذا يوسع مدارك المسلم، ويجعله يدرك أن أعظم ما يقربه إلى الله أن يكون سببًا في اجتماع الكلمة وذهاب العداوة.

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ؛ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[(١)]

وفي رواية[(٢)]

«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى».

هذا الحديث الشريف أصل عظيم في بيان أن الإصلاح بين اثنين من أعظم القُرَب، بل جعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صدقة يؤديها المرء

(٢٧٦٦).

(١) رواه مسلم (٧٢٠).

(٢) البخاري (٢٩٨٩).

عن مفاصل جسده.

فهو يقرر أن كل يوم جديد يبدأ بحق لله على عبده أن يُخرج صدقة عن كل مفصل من مفاصله، ففتح له أبوابًا من الخير واسعة، وجعل في مقدمتها إصلاح ذات البين، ففيه إشارة إلى أن المصلح لا ينفع الناس فحسب، بل يبرئ ذمته عند الله، ويؤدي شكر نعمته على بدنه.

المبحث الثالث: أثر الإصلاح في حياة الأفراد والمجتمعات

الإصلاح ليس فضيلة فردية فقط، بل هو ضرورة اجتماعية، تعود ثمرته على الجميع.

حفظ القلوب من الأحقاد:

فالمجتمع الذي ينتشر فيه الإصلاح مجتمع متماسك، يسوده الصفاء، بعيد عن الضغائن التي تمزق العلاقات.

صيانة الدماء والأموال:

كم من دم حُقن بسبب إصلاح، وكم من مال حُفظ من الضياع بسبب كلمة طيبة أو تسوية عادلة.

تقوية الأخوة الإيمانية:

الإصلاح يردم فجوات الخلاف، ويعيد المودة بعد القطيعة، فيبقى المجتمع متآلفًا متماسكًا.

دفع الفتن قبل وقوعها:

المصلحون هم صمام أمان الأمة، يطفئون الشرر قبل أن يتحول إلى نار تأكل الأخضر واليابس.

ولهذا كان الإصلاح في الشرع من أعظم أبواب الأجر، ومن أوسع طرق الخير، لا يقل شأنه عن الصلاة والصيام والصدقة، بل يعلوها عند الحاجة إليه.

كما أن الإصلاح قيمة اجتماعية راسخة، وركن من أركان دوام الأخوة الإيمانية، كما بينت الأدلة الشرعية في الفصول السابقة، فبه تستمر الحياة الاجتماعية متماسكة، وتعلو راية الخير والوفاق بين الناس.

الفصل الثالث:

أحكام الصلح في الشريعة الإسلامية

الفصل الثالث:

الصلح باب عظيم من أبواب الفقه، شرعه الله لعباده رحمة بهم، ورفعًا للنزاع الذي قد يجرّ إلى عداوة أو قطيعة أو سفك دماء.

وقد جاء ذكره في القرآن والسنة في مواطن متعددة، مقرونًا بالخير والبركة.

والصلح ليس مجرد تسوية نزاع، بل هو عقد شرعي له أركانه وضوابطه وشروطه، تحكمه قواعد عامة تضبط مساره، ليكون وسيلة حق لا وسيلة باطل.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث رئيسة:

- **المبحث الأول:** تعريف الصلح وحكمه وأدلته الشرعية
- **المبحث الثاني:** أركان الصلح وشروط صحته
- **المبحث الثالث:** أنواع الصلح في الفقه الإسلامي

المبحث الأول: تعريف الصلح وحكمه وأدلته الشرعية

تقدم أن الصلح في **اللغة**: مصدر «صالَحَ»، وهو ضد النزاع والخصومة، ويعني الاتفاق بعد الشقاق، والموافقة بعد المخالفة.

وأنه في **الاصطلاح**: عقدٌ يرفع النزاع ويقطع الخصومة بين طرفين بتراضيهما، على وجه مخصوص.

وقد اتفق الفقهاء على مشروعية الصلح، بل هو من العقود المقررة في الشرع، دلّ عليه القرآن والسنة والإجماع.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩]

فإذا كان الإصلاح واجبًا بين الطائفتين المقتتلتين، فهو في غير ذلك أولى وأجدر.

ولما جاء عن كثير من الصحابة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صالَح يهود المدينة، وصالح قريشًا في الحديبية، دلّ ذلك على أن الصلح أصل شرعي ثابت في التعامل بين الناس، وفي العلاقات بين الجماعات والدول.

وحكم الصلح: أنه مشروع بالإجماع، وقد يكون واجبًا إذا توقف عليه دفع الظلم أو إحقاق الحق، وقد يكون مستحبًا فيما عدا ذلك، ما لم يتضمن تحليلًا لحرام أو تحريمًا لحلال.

المبحث الثاني: أركان الصلح وشروط صحته

الصلح في الشريعة عقد معتبر، لا يصح إلا إذا استكمل أركانه وتوفرت شروطه.

وقد اتفق الفقهاء على أن الصلح لا ينفك عن كونه عقدًا يحتاج إلى رضا الطرفين، وضوابط تحفظ الحق وتمنع الظلم.

أولًا: أركان الصلح

ذكر الفقهاء أن أركان الصلح أربعة:(١)

١- **المتصالحان**: وهما الطرفان المتنازعان، ويشترط أن يكونا ممن يملك التصرف في محل النزاع، كالأصيل أو الوكيل.

٢- **المحلّ**: وهو ما يقع عليه الصلح، كالدين أو المال أو الحق المتنازع فيه، ويشترط أن يكون معلومًا مشروعًا.

٣- **الصيغة**: وهي ما يدل على التراضي، كأن يقول أحدهما: «صالحتك على كذا»، ويقول الآخر: «قبلت ونحو ذلك».

---

(١) اختلفوا في ذلك:

فالحنفية: يرون أن أركان الصلح ثلاثة فقط:

العاقدان (المتصالحان).

المحل (الموضوع المتنازع فيه).

الصيغة (إيجاب وقبول).

ويجعلون البدل تابعًا للمحل، فلا يعدّونه ركنًا مستقلًا.

الجمهور (المالكية والشافعية والحنابلة): يرون أن الأركان أربعة كما ذكرت:

المتصالحان – المحل – الصيغة – البدل.

لأن البدل عندهم مقصود في العقد، وقد يستقلّ حكمًا كما في الصلح على مال أو إسقاط بعض الحق، فجعلوه ركنًا متميزًا.

ولهذا قال بعض المحققين: «الاختلاف في الحقيقة لفظي، فالجميع متفق على وجود البدل في صورة الصلح، لكن الحنفية عدّوه شرطًا أو تابعًا، والجمهور عدّوه ركنًا أصيلًا».

٤- **البدل**: وهو العوض الذي يُتراضى عليه، وقد يكون مالًا أو إسقاط حق أو غير ذلك.

وهذه الأركان إذا اجتمعت انعقد الصلح، وإن اختل واحد منها لم يصح.

ومن تمام الصلح وحفظه من الرجوع والإنكار، توثيقه بالكتابة والإشهاد، كما أرشد الله تعالى في أطول آية من كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِۢبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢].

وهذا أصل في مشروعية التوثيق والإشهاد في العقود والمعاملات، ومنها عقود الصلح، صيانةً للحقوق وقطعًا للنزاع.

وفي عصرنا، صار التوثيق يتم عبر المحاكم الشرعية أو المراكز المعتمدة، مما يضمن استقرار الصلح ويمنع تلاعب النفوس أو عودة

الخصومة.

ثانيًا: شروط صحة الصلح

حتى يكون الصلح صحيحًا نافذًا، لا بد من مراعاة عدة شروط، أهمها:

١- **التراضي بين الطرفين**: فلا يصح الصلح بالإكراه أو الغصب، لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

والصلح عقد تراضٍ كغيره من العقود، فمتى فقد الرضا كان باطلًا.

٢- **أن يكون الصلح مشروعًا**: فلا يجوز أن يتصالحا على إباحة حرام أو تحريم حلال، لما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال «**الصُّلْحُ جائِزٌ بَيْنَ المُسْلِمينَ، إِلّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرامًا أَوْ حَرَّمَ حَلالًا**»(١)

فلو اصطلحا على ترك الصلاة أو تحليل الربا كان الصلح باطلًا.

٣- **سلامة الصلح من الغرر والجهالة**: فإذا كان العوض مجهولًا أو فاسدًا لم يصح الصلح، لأنه يكون حينئذ ذريعة للنزاع بدلًا من إنهائه.

٤- **ألا يتضمن ظلمًا لأحد الطرفين**: فالصلح مشروع لرفع الخصومة، لا لإيقاع ظلم جديد، ولهذا اشترط الله العدل في الإصلاح. فقال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٩].

٥- **أن يكون العوض مما يباح الانتفاع به**: فلا يصح الصلح على خمر

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٤) والترمذي (١٣٥٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ٧١٨).

أو ميتة أو مال حرام، لأن ذلك إبطال لمعنى الإصلاح وزيادة في الفساد.

ثالثًا: الحكمة من هذه الشروط

هذه الأركان والشروط إنما وُضعت لحماية الحقوق، وضمان أن يكون الصلح علاجًا للنزاع لا سببًا لنزاع جديد، وتحقيقًا لمقاصد الشريعة في العدل، ودفع الظلم، وإزالة الشقاق، وبقاء المودة بين المسلمين.

المبحث الثالث: أنواع الصلح في الفقه الإسلامي

الصلح ليس نوعًا واحدًا، بل له صور متعددة، تتنوّع بحسب موضوع النزاع ومجاله.

وقد عني الفقهاء ببيان أنواعه؛ لأن كل نوع له أحكامه وضوابطه، وما يصح في نوع قد لا يصح في آخر.

أولًا: الصلح في الأموال

وهو أكثر أنواعه دورانًا في حياة الناس. كأن يكون بين دائن ومدين، أو بين شريكين، أو بين متنازعين في عقار أو تجارة. ويجوز أن يتصالحا على إسقاط بعض الدين، أو تقسيطه، أو استبداله بما يتراضون عليه، بشرط ألا يكون فيه ربا أو غش.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [سورة

الحجرات: ٩].

هذه الآية أصل عام في الإصلاح، وهي تشمل الأموال وسائر الحقوق، لأن العدل شرط في كل صلح، ولو كان متعلقًا بالمعاملات المالية.

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ تَقاضَى ابْنُ أَبِي حَدْرَدَ دَينًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتّى كَشَفَ سَجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: «يا كَعْب»، فَأَشَارَ بِيدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَينِكَ.

فَقَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ».

قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قُمْ فَاقْضِهِ»(١).

أحكام الصلح في الشريعة الإسلامية

هذا الحديث يدل على جواز الصلح في الأموال بإسقاط بعض الحق، وأنه من باب الفضل والإحسان، لا من باب الربا المحرّم، إذا كان عن تراضٍ

ثانيًا: الصلح في الدماء والجنايات

إذا وقع اعتداء بالقتل أو الجرح، جاز لأولياء الدم أن يصطلحوا مع الجاني على الدية أو العفو أو غير ذلك.

وهذا باب واسع في الشريعة، يُظهر عظمة الإسلام في فتح باب العفو والإصلاح، بدلًا من استمرار الثأر.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

(١) رواه البخاري (٢٦٩٠)

هذه الآية جعلت العفو والصلح طريقًا مشروعًا في الدماء، بشرط اتباع المعروف وأداء الحقوق بإحسان، وهو نص صريح في مشروعية الصلح في الجنايات.

لما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَخَطَبَ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ، أَوِ الْفِيلَ، - شَكَّ أَبُو عَبْدِ اللهِ -: وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ، لَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ».

فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ: «اكْتُبُوا لِأَبِي فُلَانٍ».

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: إِلَّا الْإِذْخِرَ يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي بُيُوتِنَا وَقُبُورِنَا. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا الْإِذْخِرَ، إِلَّا الْإِذْخِرَ»(١).

فهذا الحديث أصل في تخيير أولياء الدم بين القصاص أو العفو، والعفو يشمل الصلح على الدية أو على ما يتفقون عليه، وهو من أعظم أبواب الإصلاح في المجتمع.

ثالثًا: الصلح في النكاح والعلاقات الأسرية

قد يقع بين الزوجين خلاف أو نشوز، فيفتح الشرع باب الصلح

(١) رواه البخاري (١١٢) ومسلم (١٣٥٥)

حفاظًا على الأسرة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥].

هذه الآية أصل في مشروعية الصلح بين الزوجين عند الخلاف، وبيّنت أن شرط نجاحه إخلاص النية في طلب الإصلاح، فإذا خلصت النوايا تولى الله التوفيق، وهو وعد صريح من الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

أحكام الصلح في الشريعة الإسلامية

هذه الآية نصت على أن الصلح بين الزوجين خير في ذاته، ما دام قائمًا على الرضا والعدل، وقد يكون بالتنازل عن بعض الحقوق، أو التراضي على طريقة ترضي الطرفين وتبقي الحياة الزوجية قائمة.

رابعًا: الصلح في الحدود والقصاص

فرّق الفقهاء بين الحدود التي هي حقوق لله تعالى، وبين القصاص الذي يغلب فيه حق العباد.

أما الحدود كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والقذف ونحوها، فلا صلح فيها بعد أن تُرفع إلى الحاكم، لأنها حقوق عامة لا يجوز تعطيلها.

وقد جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة المرأة المخزومية التي سرقت، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال لأسامة بن زيد حين شفع فيها: «أَتَشَفَّعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدودِ اللهِ؟»، ثُمَّ خَطَبَ النّاسَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ فاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقُطِعَتْ يَدُهَا»(١)

(١) صحيح البخاري (٦٧٨٨) ومسلم (١٦٨٨)

فهذا نص قاطع في منع الشفاعة والصلح في الحدود.

وكذلك جاء عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حالَتْ شَفاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدودِ اللهِ فَقَدْ ضَادَ اللهَ فِي أَمْرِهِ»(١)

وهذا وعيد شديد على من أراد إسقاط الحد بالشفاعة أو الصلح.

وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «تَعَافَوْا الْحُدودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ»(٢)

فدلّ على أنه يجوز العفو قبل وصول الأمر إلى الحاكم، فإذا بلغ الإمام فلا مجال للصلح، بل يجب إقامة الحد صيانةً لحق الله.

وأما القصاص في القتل والجروح، فبابه مفتوح للصلح والعفو على ما تقدم، لأن الله تعالى جعل الخيار فيه لولي الدم.

فقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فجعل العفو والإصلاح من المعروف والإحسان، بل سمّى القاتل أخًا للمجني عليه مع وقوع الجريمة، إشارة إلى بقاء رابطة الإيمان، وأن الصلح أولى من الانتقام.

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٧) والنسائي (٨/ ٧٨) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٥٣).

(٢) رواه أحمد (٢٣٧٩٥) وأبو داود (٤٣٧٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٥٦٨).

ولما تقدم «مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمّا أَنْ يُفْدَى، وَإِمّا أَنْ يُقَادَ».

والفداء هو الصلح على الدية أو المال.

والخلاصة:

أن الحدود لا صلح فيها بعد رفعها للحاكم، لأنها حقوق عامة لله.

القصاص يجوز فيه الصلح والعفو والدية، لأنه حق للعباد، والشرع فتح فيه باب الإصلاح.

خامسًا: الصلح بين الجماعات والدول

أحكام الصلح في الشريعة الإسلامية

هذا من أعظم صور الصلح أثرًا في حياة الأمم، إذ يتجاوز الأفراد والأسر إلى المجتمع كله، بل إلى العلاقات الدولية.

وقد جاءت الشريعة ببيان مشروعيته، ورسمت له ضوابط تضمن بقاء الدين والعدل، وتحقق الأمن والسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

هذه الآية أصل في الإصلاح بين الجماعات، فهي تأمر بالسعي لرفع القتال والفتنة بين الطوائف، وتجعل الإصلاح فرضًا على الأمة، وتؤكد أن العدل هو روح كل صلح، فلا يقبل الله إصلاحًا جائرًا.

ومن أعظم النماذج في السيرة: صلح الحديبية بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وقريش.

فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلَ الْحُدَيْبِيَةِ كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ.

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَا تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ نُقَاتِلْكَ.

فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «امْحُهُ».

فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ، فَمَحَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بِيَدِهِ، وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَا يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلَاحِ، فَسَأَلُوهُ مَا جُلُبَّانُ السِّلَاحِ، فَقَالَ: الْقِرَابُ بِمَا فِيهِ»[1]

أحكام الصلح في الشريعة الإسلامية

وقد سماه الله في كتابه «فتحًا مبينًا» ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١]. مع أن ظاهره في بادئ الأمر فيه شروط ثقيلة على المسلمين، لكنه كان أعظم فتح للدعوة، إذ دخل الناس بعدها في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام بلا حرب.

وهذا يقرر أن الصلح بين الجماعات والدول مشروع إذا كان محققًا للمصلحة الشرعية، وكان خاليًا من التنازل عن ثوابت الدين، وأنه وسيلة لفتح أبواب الخير، ودرء المفاسد العظيمة، وتهيئة المجتمع للنهوض من جديد.

سادسا: الإصلاح بين الحاكم والمحكوم

العلاقة بين الراعي والرعية من أعظم ميادين الإصلاح، إذ بصلاحها

(١) رواه البخاري (٢٦٩٨) ومسلم (١٧٨٥).

تستقيم أحوال الأمة، وبفسادها تنشأ الفتن والاضطرابات.

وقد جاء الشرع ببيان المنهج القويم في التعامل مع الحكام، فأمر بالصبر عليهم، والنصيحة لهم، والاجتماع على طاعتهم في المعروف، ونهى عن شق عصا الطاعة والخروج عليهم.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قُلْنَا: لِمَنْ يا رَسُولَ اللهِ؟.

قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢)

وعَنْ الزُّبَيْرِ يَعْنِي ابْنَ عَدِيٍّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ أَوْ يَوْمٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ عزوجل**»، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»(٣)

ومن أعظم ما يفسد العلاقة بين الحاكم والمحكوم ما ظهر في الأزمنة المتأخرة من المظاهرات والاعتصامات والمسيرات التي تُرفع فيها الشعارات وتُطلق فيها الهتافات، ظنًّا من أصحابها أنها إصلاح.

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

(٢) رواه البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٥١)

(٣) رواه البخاري (٧٠٦٨)

وهي في حقيقتها تزيد الشر، وتفتح أبواب الفوضى، وتثير العداوة بين المسلمين، وتجرّئ السفهاء على الدماء والأعراض والأموال.

ولقد أثبت الواقع أن هذه الطرق لم تجلب للأمة إلا الاضطراب وسفك الدماء، وأنها أبعد ما تكون عن سبيل الإصلاح.

وكذلك مما يناقض الإصلاح: التشهير بالحكام عبر الإعلام أو وسائل التواصل، فإن ذلك يهيّج العامة، ويُفقد الثقة بين الراعي والرعية، ويُظهر المسلمين بمظهر الفوضى أمام أعدائهم.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِن كُنْتُمْ فاعِلِينَ فَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، وَلا تَغْتَبُوا إِمامَكُمْ»(١)

وليس الإصلاح في التخريب والاعتصامات وإغلاق الطرق وتعطيل المصالح العامة، فإن هذا كله يضاعف الشر ويؤدي إلى فوضى عارمة، ويُدخل البلاد في دوامة من الفتن.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ، فَلَا يُبْدِهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيدِهِ، فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا فَقَدْ أَدّى الَّذِي عَلَيْهِ»(٢)

ومن هنا يتبين أن الإصلاح بين الحاكم والمحكوم إنما يكون بالطرق الشرعية:

مناصحة ولاة الأمور سرًّا، لا بالفضيحة ولا بالتشهير.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة».

(٢) رواه أحمد (١٥٣٣٣)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» رقم (١٠٩٦) و(١٠٩٧)

قيام العلماء وطلبة العلم والمصلحين بدورهم في الدخول على الولاة، وتبليغهم النصيحة بأدب ورفق، كما كان السلف يفعلون.

الصبر على جور الحكام إذا وُجد، لأن الخروج والتمرد أعظم ضررًا من ظلم يُحتمل.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسُمّي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا، برًّا كان أو فاجرًا».

وبالجملة: فإن الإصلاح بين الحاكم والمحكوم لا يتم بالشعارات ولا بالصخب، وإنما يتم بالنصيحة الصادقة، والعدل في الحكم، والصبر على ما يقع من خطأ، والتواصي بالحق والرحمة.

وهذا هو الذي يحقق الأمن والاستقرار، ويجمع الكلمة، ويحفظ دماء المسلمين وأموالهم.

سابعا: الصلح مع غير المسلمين

أقر الإسلام مبدأ الصلح مع غير المسلمين إذا كان فيه مصلحة راجحة للمسلمين، ولم يتضمن ترك واجب ولا ارتكاب محرم.

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٦١].

وأعظم شاهد على ذلك: صلح الحديبية، الذي قبله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بشروط ظاهرها في غير مصلحة المسلمين، لكنه كان فتحًا مبينًا.

وضوابط هذا الصلح: أن يكون لمصلحة المسلمين، وأن لا يتضمن

إبطال حكم شـرعي، وأن يكون محدد المدة والشـروط بما يحفظ عزّة الإسلام.

ثامنا: مفاسد ترك منهج الإصلاح الشرعي

إن الخروج عن المنهج الشرعي في الإصلاح بين الحاكم والمحكوم يجرّ على الأمة شـرورًا عظيمة، وقد شـهد التاريخ القديم والمعاصـر أن المظاهرات والاعتصـامات، ورفع الشـعارات الثورية، لم تجلب إلا الفتن المظلمة، والدماء المسفوكة، والبلاد الممزقة.

فمن مفاسد ذلك:

إراقة الدماء:

إذ تتحول الخلافات إلى مواجهات مسـلحة، يُزهق فيها أرواح الأبرياء، وتُهدر حرمة الدم المسـلم، ويضـيع الأمن الاجتماعي، فتبرز الحاجة الماسـة إلى الإصـلاح قبل تفاقم الشـرور وتحولها إلى كوارث يصعب ضبطها

ضياع الأمن والاستقرار:

فتتحول البلاد إلى نهبٍ للسـلب والنهب، ويُعطل العمل، وتتوقف المصـالح، فتضـيع الأمن والاسـتقرار، وينهار العيش الكريم، مما يبرز ضرورة الإصلاح السريع قبل تفاقم هذه الأضرار.

استغلال الأعداء:

إذ يتخذ البعض من هذه الفوضـى سـبيلًا للتدخل والهيمنة، بحجة حماية المدنيين أو نشر الديمقراطية، فيزداد الفساد، وتتفاقم المشاكل،

ويصبح الأمن الوطني والاجتماعي في خطر شديد، فتتضح الحاجة الماسة إلى الإصلاح والحكمة في حفظ مصالح الأمة.

تشويه صورة الدعوة:

فيُظن حينها أن الإسلام لا يعرف إلا الفوضى والانتفاضات، بينما هو في الحقيقة دين العدل والرحمة والنظام، يأمر بالاستقرار، ويحث على حفظ الحقوق، وإقامة العدالة، ويحرص على أمن المجتمع وسلامة الأفراد.

الشقاق بين المسلمين:

حيث ينقسم الناس بين مؤيد ومعارض، فتُسفك الدماء بين الإخوة والجيران، وتُفكك الأسر، ويضيع الأمن الاجتماعي، ويعاني المجتمع من الانقسام والفوضى، مما يبرز الحاجة الملحّة إلى الإصلاح ومبادئ الوفاق بين الناس.

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ محذرًا من الفتن:

«سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»[1]

وبهذا يظهر أن الإصلاح الحق بين الحاكم والمحكوم لا يكون بالهتافات ولا بالمظاهرات، ولا بالتشهير ولا بالاعتصامات، وإنما يكون:

---

(١) رواه البخاري (٣٦٠١) ومسلم (٢٨٨٦).

بالنصيحة الصادقة السرية، وبالدعاء لولاة الأمر بالصلاح، وبقيام العلماء والمصلحين بدورهم في التوجيه، وبصبر الرعية على ما يجدون من جور، طلبًا لوحدة الصف وحقن الدماء.

هذا هو المنهج الذي عليه الصحابة والسلف الصالح، وهو الطريق الذي يرضاه الله لعباده، وما عداه فهو باب للشرور والمهالك.

تاسعا: نماذج من السلف في الإصلاح بين الحاكم والمحكوم

لقد كان الصحابة والسلف أفقه الناس في باب النصيحة للحكام، وأحرصهم على الإصلاح بغير فتنة ولا تشهير، حافظين على أمن المجتمع واستقراره، وراشدين في توجيه الحكام بالرفق والحكمة. وهذه بعض المواقف المضيئة التي تعكس حرصهم على الإصلاح وحماية الأمة من الفساد والانحراف:

نصيحة أسامة بن زيد لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لما قيل لأسامة بن زيد: ألا تكلم عثمان؟ قال: «إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا، لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ»[1]

وهذا أصل عظيم في أن النصيحة أن تكون سرية، لا على رؤوس الأشهاد، ولا عبر المنابر والعلانية، لأن العلانية قد تثير العامة، ولا تصلح للإصلاح، بينما السرية تراعي الرفق والحكمة وحفظ هيبة الشخص والمجتمع.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩).

ابن عباس مع الحجاج

دخل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على الحجاج، وكان الحجاج معروفًا بظلمه، فكلمه ابن عباس برفق، وأوصاه بتقوى الله، فقبل الحجاج كلامه وأظهر احترامه له.

وهذا يدل على أن العالم والمصلح إذا دخل على السلطان بحكمة ورفق، فإن الله ينفع بنصيحته، ويظهر أثر الإصلاح السري والحكيم في تهذيب القلوب وحفظ مصالح الأمة، بعيدًا عن الفتنة والعلانية التي قد تؤدي إلى الإضرار بالمجتمع.

الإمام أحمد بن حنبل مع الخلفاء

الإمام أحمد كان يصبر على جور الخلفاء في مسألة القول بخلق القرآن، مع شدة بلائه، وكان يقول: «**الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة يُسفك فيها الدماء، ويُستباح فيها المال**».

فاختار الصبر والنصيحة بالحكمة، ورأى أن ذلك أنفع للأمة وأحفظ لجماعتها، إذ إن الرفق والحكمة في الإصلاح يحمي المجتمع من الفتنة ويضمن استمرار الخير والاستقرار، ويُبرز قيمة المصلح الصادق الذي يضع مصلحة الناس فوق كل اعتبار شخصي.

وكان يقول: «**لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها في الإمام، لأن صلاحه صلاح للأمة**».

فمن هذا الموقف يتضح أن صلاح الراعي سبب لصلاح الرعية، وأن الدعاء لهم والنصيحة لهم أعظم نفعًا من إثارة العوام عليهم، إذ يُثمر الإصلاح الحكيم والاستشارة السرية والمحبة للوطن والمجتمع،

ويحفظ الأمن والاستقرار، بعيدًا عن الفتنة والاضطراب.

الفصل الرابع:

الإصلاح في النزاعات الاجتماعية والأسرية

الفصل الرابع:

النزاعات بين الناس سنة كونية، لا يخلو منها بيت ولا مجتمع، وقد تعلّقت بها أحكام الشريعة تفصيلًا، لما لها من أثر كبير في وحدة الأمة أو فرقتها. فجعل الإسلام الإصلاح طريقًا لدوام الألفة، وأمر به في الخصومات العائلية، والنزاعات القبلية، والخلافات بين الجيران، وأكّد أن بقاء المجتمع متماسكًا متوقف على إصلاح ذات البين.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** الإصلاح في الخلافات الزوجية والأسرية
- **المبحث الثاني:** الإصلاح في النزاعات القبلية والاجتماعية
- **المبحث الثالث:** أثر الإصلاح في تحقيق الأمن المجتمعي.

المبحث الأول: الإصلاح في الخلافات الزوجية والأسرية

الأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع، وصلاحها صلاح للأمة كلها.

وإذا فسدت العلاقة بين الزوجين، انتقل أثر ذلك إلى الأبناء، ثم إلى الأقارب والجيران، حتى يعمّ الضرر، ولهذا جاءت نصوص الشريعة تعالج قضايا الزوجين بدقة، وتفتح أبواب الإصلاح على مصاريعها، حتى يبقى البيت قائمًا على المودة والرحمة.

الإصلاح عند خوف النشوز أو الإعراض

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [النساء: ١٢٨].

فهذه الآية أصل في جواز أن تتنازل الزوجة عن بعض حقوقها (كالنفقة أو المبيت) إذا خشيت إعراض زوجها أو ميل قلبه، بشرط أن يكون ذلك بتراضيهما.

جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا﴾، قَالَتْ: «هِيَ الْمَرْأَةُ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ لَا يَسْتَكْثِرُ مِنْهَا فَيُرِيدُ طَلَاقَهَا وَيَتَزَوَّجُ غَيْرَهَا، تَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْنِي وَلَا تُطَلِّقْنِي، ثُمَّ تَزَوَّجْ غَيْرِي فَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنَ النَّفَقَةِ عَلَيَّ وَالْقِسْمَةِ لِي، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾»[(١)]

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَفِي هَذَا أَنَّ أَنْوَاعَ الصُّلْحِ كُلَّهَا مُبَاحَةٌ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ، بِأَنْ يُعْطِيَ الزَّوْجُ عَلَى أَنْ تَصْبِرَ هِيَ، أَوْ تُعْطِيَ هِيَ عَلَى أَنْ يُؤْثِرَ الزَّوْجُ، أَوْ عَلَى أَنْ

(١) رواه البخاري (٥٢٠٦) ومسلم (٣٠٢١)

يُؤْثِرَ وَيَتَمَسَّكَ بِالْعِصْمَةِ، أَوْ يَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى الصَّبْرِ وَالْأَثَرَةِ مِنْ غَيْرِ عَطَاءٍ، فَهَذَا كُلُّهُ مُبَاحٌ. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ تُصَالِحَ إِحْدَاهُنَّ صَاحِبَتَهَا عَنْ يَوْمِهَا بِشَيْءٍ تُعْطِيهَا، كَمَا فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. اهـ[1]

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥].

في هذه الآية توجيه رباني إلى طريق ثالث، إذا لم ينفع التفاهم المباشر بين الزوجين، وهو إرسال حكمين من العائلتين، يتوسمان الحكمة والخبرة والعدل، فإن خلصت نية الحكمين في الإصلاح، تولى الله التوفيق بين الزوجين.

الإصلاح في النزاعات الاجتماعية والأسرية

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ الْفُقَهَاءُ: إِذَا وَقَعَ الشِّقَاقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، أَسْكَنَهُمَا الْحَاكِمُ إِلَى جَنْبِ ثِقَةٍ، يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِمَا، وَيَمْنَعُ الظَّالِمَ مِنْهُمَا مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنْ تَفَاقَمَ أَمْرُهُمَا وَطَالَتْ خُصُومَتُهُمَا، بَعَثَ الْحَاكِمُ ثِقَةً مَنْ أَهْلِ الْمَرْأَةِ، وَثِقَةً مِنْ قَوْمِ الرَّجُلِ، لِيَجْتَمِعَا وَيَنْظُرَا فِي أَمْرِهِمَا، وَيَفْعَلَا مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ مِمَّا يَرَيَانِهِ مِنَ التَّفْرِيقِ أَوِ التَّوْفِيقِ وتَشَوف الشَّارِعُ إِلَى التَّوْفِيقِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ اهـ[2]

الإصلاح في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

جاء في صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت:

«مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ،

---

(١) «تفسيره الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٤٠٥)

(٢) «تفسيره -ت السلامة» (٢/ ٢٩٦)

وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يُبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ».

وفي هذا إشارة إلى أن الإصلاح بين الزوجات وأزواجهن يكون أحيانًا بإحياء الذكرى الطيبة، والكلمة الحسنة، وتقدير المعروف، وهو جانب معنوي مهم في الحياة الزوجية.

كما جاء في صحيح مسلم عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ بِشَيْءٍ فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ».

وفيه أصل في وجوب العدل بين الزوجات، وحرمة أخذ ما لا يحلّ، والتنبيه إلى أن الإصلاح لا يتم إلا بالعدل.

الإصلاح بالقول الحسن

وقد أباح الشرع للمصلح أن يقول الكلمة التي تجمع القلوب، ولو كان ظاهرها خلاف الواقع مما فيه تورية، ما دام قصده الخير.

ومن ذلك ما يدخل في الإصلاح بين الزوجين، فإن النفوس في حال النزاع قد لا ترضى إلا بكلمة تُطفئ الغضب، فجعل الشرع ذلك من المباح بل من المندوب.

الخلاصة:

يتبين أن الإصلاح بين الزوجين يتدرج في ثلاث مراتب:

- التفاهم المباشر: بالتنازل والتراضي بينهما.

- التحكيم: باستدعاء حكمين عادلين من الأهل.
- الكلمة الطيبة: التي تؤلّف القلوب وتعيد المودة.

فإذا خلصت النية، تولى الله إصلاح القلوب، وكانت هذه الجهود سببًا في دوام العشرة بالمعروف.

المبحث الثاني: الإصلاح في النزاعات القبلية والاجتماعية

المجتمعات لا تخلو من نزاعات بين قبائل أو جماعات أو جيران، وقد تتحول هذه الخلافات الصغيرة إلى صراعات كبيرة تهدد الأمن والاستقرار.

الإصلاح في النزاعات الاجتماعية والأسرية

ولهذا جاء الإسلام بقاعدة عظيمة في هذا الباب، هي وجوب الإصلاح بين المسلمين، ودعوتهم إلى السلم والألفة.

وقد أوجب الله الإصلاح في حال القتال، فكيف بما دونه من خلافات يسيرة؟

قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحجرات:٩].

هذه الآية الكريمة أصل جامع في وجوب الإصلاح بين الجماعات والقبائل إذا وقع بينهم قتال، فجعل الله الإصلاح أول خطوة، ثم دفع البغي إن وقع، ثم العودة إلى العدل.

وهي تدل على أن الإصلاح ليس مجرد خيار، بل هو فرض على الأمة كلها، تحفظ به دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم.

ولما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟.

قَالَ: «تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نُصْرُهُ»(١)

الإصلاح في النزاعات الاجتماعية والأسرية

هذا الحديث يبين أن من أعظم صور النصرة منع الظالم من ظلمه، وأعظم ما يكون ذلك في النزاعات القبلية والاجتماعية، حيث قد يجرّ التعصبُ العصبياتِ إلى سفك الدماء.

فالمصلح حين يمنع الظالم من ظلمه، ويوقف الخصومة عند حدّها، يكون ناصرًا له في الحقيقة، لأنه منعه من الإثم.

وقد مارس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بنفسه هذا الدور العظيم، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال يوم الأحزاب:

«لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ».

فاختلف الصحابة: هل المراد الإسراع، أو حقيقة الصلاة هناك؟ فاختصموا، ثم ذكر ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلم يعنّف أحدًا منهم.

وفيه درس في أن الإصلاح لا يكون دائمًا بإلزام طرف، بل أحيانًا بقبول تعدد وجهات النظر ما دامت تحتملها الشريعة، وتؤدي للحق

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٤).

وبذلك تُحفظ الوحدة.

الإصلاح في النزاعات القبلية والاجتماعية ليس شأنًا دنيويًا فحسب، بل هو عبادة عظيمة، تُبنى عليها وحدة الأمة، وتُسد بها أبواب الفتن، ويُقطع الطريق على الأعداء الذين يفرحون بالشقاق.

المبحث الثالث: أثر الإصلاح في تحقيق الأمن المجتمعي

الأمن من أعظم نعم الله على العباد، ولا يتحقق إلا إذا استقرّت القلوب واطمأنّت النفوس، وانتشرت الثقة بين أفراد المجتمع.

الإصلاح في النزاعات الاجتماعية والأسرية

وإذا كثرت النزاعات وتراكمت الخصومات، ضاع الأمن، وصار الناس يعيشون في خوف وحذر، ولهذا كان الإصلاح بين الناس سبيلًا لحفظ الأمن، وسدًّا لباب الفتن.

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

هذه الآية تبين أن الإصلاح من القليل النافع في كلام الناس، وأنه عبادة عظيمة متى قصد بها وجه الله.

فإذا انتشر الإصلاح في المجتمع، خفّت الخصومات، وتلاشت الضغائن، وقام الأمن.

ولما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا

هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[١]

هذا الحديث يبين أثر الإصلاح في أعظم مقصد، وهو نيل مغفرة الله ودخول الجنة. فالمتخاصمان إذا بقيا في شحنائهما، قد يحرمان المغفرة حتى يصطلحان.

وهذا يدل على أن الخصومة ليست فقط خطرًا اجتماعيًا، بل خطرًا دينيًا عظيمًا، فإذا أصلح الناس بينهم، انتشر الأمن في الدنيا، ونالوا مغفرة الله في الآخرة.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بنفسه يسعى في الإصلاح ليحفظ الأمن العام، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ»[٢]

وهذا الموقف النبوي العظيم يبين أن الأمن المجتمعي لا يُبنى بالقوة وحدها، بل بالإصلاح، حتى تعود القلوب متآلفة، وتزول أسباب العداوة.

وبذلك يظهر أن الإصلاح بين الناس هو الأساس المتين لبقاء الأمن، وبدونه ينتشر الخوف وتضيع النعم.

فمن أراد أن يحفظ المجتمع، فعليه أن يسعى في الإصلاح، ولو بكلمة، أو بجاه، أو بمال، ليكون سببًا في بقاء الأمن والنعمة.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٣)

الفصل الخامس:

آداب المصلح وشروط نجاحه

الفصل الخامس:

المصلح بين الناس صاحب رسالة عظيمة، يطفئ نيران العداوة، ويقرّب القلوب، ويرفع الخلافات.

ولأجل هذا المقام الرفيع، كان لا بد له من آداب شرعية، وصفات نفسية، وشروط عملية تعينه على نجاح مسعاه.

فإن الإصلاح ليس مجرد كلمات، بل هو فن يحتاج إلى فقه، وصبر، وحكمة.

وقد اشتمل هذا الفصل على ستة مباحث:

- **المبحث الأول:** إخلاص النية وطلب الأجر من الله
- **المبحث الثاني:** الحكمة في القول والعمل
- **المبحث الثالث:** الصبر وطول النفس.
- **المبحث الرابع:** كتمان الأسرار وضبط اللسان في مجالس الإصلاح
- **المبحث الخامس:** نماذج من الإصلاح في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

المبحث السادس: الإصلاح بين الدعاة وطلاب العلم

المبحث الأول: إخلاص النية وطلب الأجر من الله

الإصلاح عبادة وقربة، لا يصح إلا إذا كان خالصًا لله تعالى.

فالمصلح قد يُزين الكلام أو يبذل المال أو يتوسط بجاهه، فإذا لم يكن قصده وجه الله، ذهب عمله أدراج الرياح.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

فهذه الآية تؤكد أن الأجر العظيم مشروط بابتغاء مرضاة الله، لا بتحقيق مصلحة دنيوية أو جاه عند الناس.

آداب المصلح وشروط نجاحه

ولما جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»(١)

وهذا الحديث أصل في كل عمل، ومنها الإصلاح.

فالمصلح إن قصد وجه الله، كتب الله له الأجر، وإن قصد الرياء أو السمعة، لم ينل من عمله إلا ما نوى.

ومن ثمرات الإخلاص أن الله يبارك في جهد المصلح، ويجعل كلماته سببًا للوفاق، ولو كانت يسيرة، بينما من قصد الدنيا قد يتكلم كثيرًا ولا يجد أثرًا.

المبحث الثاني: الحكمة في القول والعمل

المصلح يحتاج إلى الحكمة أكثر من حاجته إلى الفصاحة أو المال أو التجربة؛ لأن الإصلاح مخاطبة لقلوب متوترة، وعقول متحفزة، ونفوس قد ملأها الغضب أو الهوى. فلو أخطأ المصلح في كلمة واحدة

---

(١) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

قد يفسد أكثر مما يصلح، وقد يوقع العداوة بدل أن يطفئها. ولهذا كانت الحكمة شرطًا لا ينفك عن المصلح.

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذه الآية وإن وردت في باب الدعوة، فإنها أصل عام في كل مقام يحتاج إلى توجيه وإصلاح، لأن الإصلاح من أعظم أبواب الدعوة إلى الله.

آداب المصلح وشروط نجاحه

فالحكمة ليست زينة ثانوية، بل هي الركن الأعظم في نجاح المصلحين.

وجاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»(١)

والرفق صورة من صور الحكمة، وبه تنجح مساعي الإصلاح، وتلين القلوب، وتُطوى صفحات النزاع.

ومن تدبر سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجد أن الحكمة كانت سمتًا ملازمًا له؛ يختار من الألفاظ ألطفها، ومن الأساليب أرفقها، حتى مع أعدائه.

فلم يواجه الخصوم بالعنف، بل جمع بين الحزم واللين، فدخل الناس في دين الله طوعًا، بعد أن هدأت نفوسهم بالرفق.

ومن صور الحكمة أن ينصت المصلح أكثر مما يتكلم، وأن يعطي كل طرف فرصة ليعبر عن نفسه دون مقاطعة أو تحيز، ثم يجمع الكلمة

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥).

بأعدل قول وألين أسلوب.

ومن الحكمة أيضًا أن يعرف المصلح متى يتكلم، ومتى يسكت، ومتى يؤجل الأمر حتى تهدأ النفوس، فإن الكلمة في غير وقتها قد تكون شرارة تزيد النار اشتعالًا.

وللأسف بعض المصلحين إذا فقدوا الحكمة صاروا سببًا في فساد أعظم من الخصومة؛ فقد يكون المصلح غير حكيم، فيُذكر أحد الطرفين بما يثير غضبه، أو يبالغ في لومه أمام الناس، فينقلب الإصلاح إلى إفساد، بل ربما كان سببًا في فراق زوجين بعدما كان يمكن أن تعود المودة بينهما، أو مفاصلة شريكين بعدما كان يمكن أن يتجاوزا الخلاف، أو زيادة الشر بين قبيلتين بعدما كانت النفوس قريبة من الرضا.

آداب المصلح وشروط نجاحه

وهنا تتأكد خطورة موقع المصلح: فهو إما أن يكون جسرًا للألفة، أو أداة لهدمها.

فإذا لم يتزين بالحكمة، صار مثل طبيب يصف دواءً خاطئًا فيزيد المرض سوءًا، بل قد يكون مَن ترك الإصلاح أهون ممن دخل فيه بغير علم ولا حكمة، لأنه سدّ باب الخير وفتح أبواب الشر.

المبحث الثالث: الصبر وطول النفس

المصلح أشبه بالطبيب الذي يواجه مريضًا متألمًا، فلا بد له من صبر عظيم، لأن النفوس في لحظة النزاع قد تثور وتشتد.

فإذا فقد المصلح الصبر، خسر ثقة الناس به، ولم ينجح مسعاه.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [النحل: ١٢٧].

فالمصلح يستمد صبره من عون الله، ويحتسب أجره عنده.

ومن تمام الصبر أن يكون المصلح عادلاً، فلا يميل إلى أحد الطرفين، ولا يحابي قريبًا أو صديقًا. قال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [سورة الحجرات:٩].

فالمصلح إذا عدل، بارك الله في مسعاه، وإن جار ضاع عمله.

المبحث الرابع: كتمان الأسرار وضبط اللسان في مجالس الإصلاح

من أهم ما يجب على المصلح أن يتخلّق به: كتمان الأسرار وضبط اللسان؛ لأن مجلس الإصلاح أمانة، وما يدور فيه من كلمات غالبًا يصدر عن نفوس متوترة، وألسنة قد تسبق بالعجلة والغضب، فلو حملها المصلح على ظاهرها، أو نقلها حرفًا بحرف، لأفسد أكثر مما أصلح.

جاء عن جابر بن عبد الله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ تَلَفَّتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»(١)

فهذا الأصل يدل على أن ما يُقال في مجلس خاص لا يجوز نشره، لا سيما في مجالس الصلح، فإن كشف الكلام يزيد الفتنة ولا يطفئها.

وكثيرًا ما يصدر عن أحد الخصمين كلام غليظ في لحظة انفعال، أو وصف جارح لخصمه، فليس من الحكمة أن يُنقل له كما هو، بل الواجب على المصلح أن يستره، أو يؤوله بألطف عبارة، ويُشعر

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٦٩) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ١٤٦).

الطرفين بأنهما أقرب إلى الصفح والرضا من القطيعة والعداوة.

ومن أعظم الخطأ أن يحدّث المصلح أحد الطرفين بما يُشعره بالتحقير أو الازدراء من قِبل خصمه، فإن ذلك يُغلق باب الصلح من أصله.

بل الحكمة أن يُظهر لكل طرف مكانة الآخر، وأن ما بدر منه إنما هو في ساعة غضب، وأن قلبه في الحقيقة يطلب الخير.

ثم إن نقل الكلام السيئ بين الناس، من النميمة التي تهدم العلاقات، فكيف إذا كان ذلك في مقام الإصلاح؟

آداب المصلح وشروط نجاحه

إن المصلح حينئذ يكون خائنًا للأمانة، ونافخًا في نار الفتنة بدل أن يطفئها.

وبالجملة، فالمصلح مؤتمن على أسرار الخصوم، وضابطٌ للسانه، لا يُكثر الكلام، ولا ينقل إلا ما يقرّب القلوب ويُبقي المودة.

ومن حُرم هذه الخصلة، صار مفسدًا لا مصلحًا، وخان الرسالة العظيمة التي يحملها.

والخلاصة:

أن من الآداب المهمة هي السرية في الإصلاح؛ فإن كشف الخلاف على الملأ يثير العصبيات ويزيد العداوة، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا بلغه نزاع بين أصحابه، دعاهم سرًا وكلمهم بلطف، حتى تهدأ نفوسهم وتزول الخصومة.

ولما جاء عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُحْرَمُ عَلَى النَّارِ؟ كُلُّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ»(١)

فالمصلح أحوج الناس إلى أن يكون هينًا لينًا، لا فظًا غليظًا، ليقبل الناس نصيحته، وينقادوا لحكمه.

وبذلك يتضح أن نجاح الإصلاح يحتاج إلى أربعة أركان:

- «إخلاص يراد به وجه الله».
- «وصبر طويل».
- «وعدل صارم».
- «وسرية تحفظ ماء الوجوه».

فمن جمعها كان قريبًا من التوفيق والنجاح.

المبحث الخامس: نماذج من الإصلاح في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو القدوة الأولى في الإصلاح، فقد كان يحرص على جمع الكلمة، وحل النزاعات، وإزالة أسباب الشقاق.

ومن أبرز مواقفه:

١ - وضع الحجر الأسود قبل البعثة

لما اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء الكعبة، كادت تشتعل الحرب بينهم، حتى جاءوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكان يومها في مقتبل عمره، فوضع الثوب، وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف منه، ثم حملوه جميعًا، فأخذه بيده الشريفة

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٨) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٤٤).

ووضعه في مكانه.

فزالت الفتنة واجتمعت القلوب.

وهذا الموقف شاهد على حكمة المصلح في ابتكار الحلول التي تُرضي جميع الأطراف.

٢ - صلح الحديبية:

من أعظم صور الإصلاح في السيرة، إذ عقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ صلحًا مع قريش في السنة السادسة للهجرة على شروط ظاهرها مجحفة بالمسلمين، لكن نتائجها كانت فتحًا مبينًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١].

وفي هذا درس أن الإصلاح قد يحتاج إلى تنازل مرحلي، لكنه يثمر مصلحة عليا للأمة.

٣ - إصلاح ذات البين بين الصحابة

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ.

فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ»(١)

وهذا نموذج عملي في سرعة تدخل القائد والمصلح قبل تفاقم النزاع، وأن الإصلاح يحتاج إلى حضور مباشر وحزم حكيم.

٥ - صلح كعب بن مالك مع ابن أبي حدرد في الدين

روى من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ تقاضيتُ ابنَ

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٣)

أبي حَدْرَد دَيْنًا له عليَّ في المسجد، فارتفعت أصواتُنا حتى سمعها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو في بيتِه، فخرج إلينا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى كشف سَجْفَ حُجرتِه، فنادى: «يا كعبُ».

قلتُ: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ، قال: «ضَعْ من دَينِك هذا وأومأ إلى الشَّطرِ».

قلتُ: قد فعلتُ يا رسولَ اللهِ. قال: «قُمْ فاقضِه».

في هذا الحديث دليل على مشروعية الصلح في الأموال، وأن التنازل عن بعض الحق لإطفاء الخصومة عمل مشروع يُثاب عليه المسلم.

٦ - إصلاح عبد الله بن الزبير مع الأنصار

عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:

«اختصم الزبيرُ ورجلٌ من الأنصارِ في شِراجِ الحرَّةِ التي يسقون بها النخلَ، فقال الأنصاري: سرِّحِ الماءَ يمرُّ، فأبى عليه الزبيرُ، فاختصما إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للزبير:

«اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ».

فغضب الأنصاري وقال: يا رسولَ اللهِ، أن كان ابن عمتك؟ فتلوَّن وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم قال:

«يَا زُبَيْرُ، اسْقِ ثُمَّ أَحْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ».

فقال الزبيرُ: واللهِ إنِّي لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ

﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]»[(١)].

ففيه بيان عدل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الإصلاح بين الصحابة، وأنه أعطى الزبير أولًا فوق ما له من الحق تلطيفًا للخصومة، فلما أساء الأنصاري الأدب، أعطاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الحق كاملًا.

٧-إصلاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الأوس والخزرج

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي عَمْرُو بْنِ عُوفٍ فَوَجَدَ بَيْنَهُمْ شَيْئًا (أَيْ خُصُومَةً)، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ»[(٢)].

هذا الحديث من أوضح الأدلة على أن الإصلاح من سنن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العملية، وأنه كان يباشر بنفسه فضّ النزاعات الاجتماعية، ولا يأنف من ذلك، بل يعدّه من أعظم القربات.

٧ - الصلح بين الحسن ومعاوية (عام الجماعة)

ومن أعظم صور الإصلاح التي حفلت بها كتب التاريخ: صلح الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حين تنازل عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (سنة ٤١ هـ) حقنًا لدماء المسلمين، فسُمِّيت تلك السنة بعام الجماعة.

وقد سبق أن أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بذلك فقال:

«إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ

---

(١) البخاري (٢٦٩٣)

(٢) البخاري (٢٦٩١)

الْمُسْلِمِينَ»[١]

فهذا النموذج الجليل شاهد على أن الإصلاح قد يبلغ حدّ التنازل عن أعظم المناصب الشرعية، إذا كان في ذلك جمع للكلمة، وقطع لدابر الفتنة، وإطفاء لنار الاقتتال.

خلاصة الفصل:

يتبين مما سبق أن المصلح ليس مجرد وسيط، بل هو داعية إلى الله، وطبيب للقلوب، وناصح للأمة.

آداب المصلح وشروط نجاحه

ولا ينجح في مهمته إلا إذا أخلص لله، وتزيّن بالحكمة، وتحلّى بالصبر والعدل والرفق.

وقد جعلت الشريعة هذه الآداب شروطًا لنجاح الإصلاح، لتبقى الأمة مجتمعة، والقلوب متآلفة، والفتن مطفأة.

إن الإصلاح بين الناس ليس مجرد تنظير، بل هو ممارسة عملية جسدها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته والتابعون من بعدهم، فحفظوا للأمة وحدتها، وحققوا بها الأمن والنصر.

وما أحوجنا اليوم إلى الاقتداء بهذه النماذج، في بيوتنا ومجتمعاتنا ودولنا.

المبحث السادس: الإصلاح بين الدعاة وطلاب العلم

إن الإصلاح بين العلماء والدعاة وطلاب العلم من أعظم ما ينبغي الاعتناء به؛ لأنهم قدوة الأمة ومصابيحها، فإذا تنازعوا تنازع الناس، وإذا صلحوا اجتمعت الكلمة وارتفعت راية السنة.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

من أسباب الخلاف عند بعضهم

حظوظ النفوس والأغراض الخفية:

فكثير من النزاعات في حقيقتها ليســت علمية ولا منهجية، وإنما منشؤها حب الظهور، أو الغضب عند النقد، أو طلب الرياسة، ثم يُلبَس ذلك لباس «المنهج» و«الأصـول» بغير حق فيظهر خلافًا علميًا بينما هو خلاف شخصي أو نفسي.

سوء الظن وعدم التثبت:

كثيرًا ما يُنقل الكلام مبتورًا أو محرَّفًا.

فيُفقد المعنى الأصــلي ويختلط الحق بالباطل، ثم يُبنى على هذا النقل الولاء والبراء، ويزداد بذلك سوء الفهم بين الناس، فتتفاقم الفرقة وتضعف وحدة المجتمع.

الهوى والتعصب:

الهوى والتعصب هما أصل كل فساد، فاتباع النفس والعصبية يعمي البصيرة، ويؤدي إلى الانقسامات والخلافات، ويزيد الفرقة بين الناس، ويعطل العمل الصالح والإصلاح.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

مفاسد هذه الخلافات

تشتيت الشباب:

إذ ينصرف الطالب عن طلب العلم لانشغاله بالخصومات فيضيع جهده ويُهمل طلب الفائدة.

إسقاط هيبة العلماء:

فيرى العامة مشايخهم يتقاذفون التهم، فتسقط مكانتهم من القلوب ويقل احترام الناس لهم.

الفرح لأعداء السنة:

الذين يجدون في هذه الخصومات فرصة للطعن في الدعوة وأهلها ويزدادون قوة على نشر الفساد والفتنة.

وسائل الإصلاح بينهم

آداب المصلح وشروط نجاحه

- **العدل والإنصاف:** فلا يُحمل الكلام ما لا يحتمل، ولا يُفسَّر بالظن.
- **اللقاء المباشر:** فإن المشافهة تذيب كثيرًا من الإشكالات.
- **التحاكم إلى العلماء الكبار:** ليفصلوا في النزاع بميزان الشرع.
- **الستر وترك التشهير:** فلا تُعرض الخلافات على العامة فيفتنوا بها.
- **التذكير بالمسؤولية الشرعية:** فإنهم قدوة، وخلافهم ينعكس على الأمة كلها.
- **التربية على مراقبة الله:** فإن من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

نماذج من السلف

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: اختلفوا في مسائل اجتهادية، لكنهم بقوا إخوة متحابين، فلم يُفضِ خلافهم إلى تبديع ولا تفسيق.

الأئمة والعلماء وقع بينهم خلاف في مسائل فقهية عظيمة، ومع ذلك كان بعضهم يترحم على بعض، ويثني عليه، ويأخذ بقوله أحيانًا.

فهكذا كان الأئمة يختلفون، ومع ذلك يبقون متآخين، متعاونين على نصرة الدين، بعيدين عن الهوى والتشنيع.

خلاصة المبحث

إن الإصلاح بين الدعاة وطلاب العلم ضرورة شرعية ومصلحة كبرى، لأن فساد ذات البين بينهم أشد خطرًا على الأمة من فساد ذات البين بين عامة الناس.

وأكثر ما يقع بينهم من النزاع إنما هو حظوظ نفوس وأهواء تُكسى ثوب المنهج، فلا بد من تمييز الحقائق، وإعادة الأمور إلى نصابها.

وبالجملة: فإن اجتماع العلماء والدعاة رحمة للأمة، واختلافهم فتنة لها، وإصلاح ذات البين بينهم من أعظم القربات وأجل الطاعات.

الفصل السادس:

الضوابط الشرعية للإصلاح ومنع الانحراف فيه

الفصل السادس:

الإصلاح بين الناس مقصد عظيم، لكن ليس كل ما يُسمى إصلاحًا يكون شرعيًا، فقد يتذرع بعض الناس بالإصلاح ليبرر الظلم، أو ليحابي طرفًا على حساب آخر، أو ليُحلّ ما حرّم الله. ولهذا جاءت الشريعة بضوابط تحفظ الإصلاح في مساره الصحيح، وتمنع أن يتحول إلى باب من أبواب الفساد.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** قاعدة «الصلح جائز إلا ما أحلّ حرامًا أو حرّم حلالًا»
- **المبحث الثاني:** وجوب العدل في الإصلاح
- **المبحث الثالث:** عدم تقديم المصلحة الدنيوية على المصلحة الشرعية

المبحث الأول: قاعدة «الصلح جائز إلا ما أحلّ حرامًا أو حرّم حلالًا»

الأصل في الصلح أنه مشروع، وقد أجمع العلماء على جوازه في كل نزاع، ما لم يؤد إلى تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

قال الله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

ولما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا»[1]

الضوابط الشرعية للإصلاح ومنع الانحراف فيه

فهذه القاعدة جامعة، تفتح الباب واسعًا للإصلاح المشروع، وتغلقه تمامًا أمام كل تسوية باطلة.

فلو تصالح طرفان على إسقاط فريضة، أو إباحة محرّم، أو منع حق شرعي، لم يكن ذلك صلحًا شرعيًا، بل صورة من صور التلاعب بالدين.

المبحث الثاني: وجوب العدل في الإصلاح

الإصلاح لا يقوم على المجاملة أو المحاباة، بل على العدل والإنصاف، فإذا مال المصلح إلى أحد الطرفين بغير حق، صار ظالمًا.

قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٤) والترمذي (١٣٥٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ٧١٨).

ولما جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟

قَالَ: «تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَذَلِكَ نُصْرُهُ»(١)

فالعدل هو روح الإصلاح، وبه يرضى الطرفان، وتطمئن القلوب.

أما إذا شعر أحد الأطراف أن المصلح يجامل أو ينحاز، فلن يقبل حكمه، بل قد تزداد الخصومة.

المبحث الثالث: عدم تقديم المصلحة الدنيوية على المصلحة الشرعية

قد يغري بعض المصلحين حل النزاع بأي ثمن، ولو على حساب الدين، فيتنازلون عن حدود الله بحجة درء الفتنة، وهذا خطأ عظيم، فإن الفتنة الكبرى هي مخالفة شرع الله.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

فالمصلحة الحقيقية هي ما وافق شرع الله، لا ما أرضى الناس في لحظة غضب أو نزاع.

فالمصلح إذا راعى رضا الله، أصلح الله على يديه، وإن راعى رضا الناس بمعصية الله، لم يبارك في مسعاه.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٤).

خلاصة الفصل:

الصلح والإصلاح باب واسع، لكن الشريعة ضبطته بضوابط تحميه من الانحراف: أن يكون موافقًا للشــرع، قائمًا على العدل، مراعًى فيه مرضاة الله، مقدمًا للمصالح الشرعية على الدنيوية.

فإذا التزم المصــلح بهذه الضــوابط، كان عمله قربة عظيمة، وأما إذا تجاوزها، كان سعيه إفسادًا في صورة إصلاح.

الضوابط الشرعية للإصلاح ومنع الانحراف فيه

الفصل السابع:

الوسائل المحرمة في الإصلاح

الفصل السابع:

الإصلاح عبادة عظيمة، لكنه – كسائر العبادات – مقيّد بالشرع، فلا يجوز أن يُبتغى به وجه الله عبر وسائل تخالف أمره، أو تعلو على حدوده.

ومن هنا كان لزامًا على المصلح أن يميز بين ما يجوز فعله، وما هو محرم وإن كان يؤدي إلى «صلحٍ ظاهري».

فالشرع لا يجيز الكذب ولا الظلم ولا التنازل عن العقيدة بدعوى الإصلاح.

ويمكن تقسيم هذه الوسائل المحرمة إلى ثلاثة أنواع: قولية، وعملية، وعقدية، بحسب الخلل الذي يقع فيها

المبحث الأول: الوسائل القولية المحرمة

أولًا: الكذب

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ... وَإِنَّ الْكَذِبَ

يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»[١]

الكذب لا يمكن أن يكون وسيلة شرعية للإصلاح، لأنه طريق إلى الفجور كما دل الحديث.

ومن بنى الإصلاح على الكذب فقد أسس على باطل، والباطل لا تقوم به دعائم الحق ولا تستقيم به مقاصد الخير.

والمصلح الصادق هو الذي يضع الثقة في كلماته، ويجعل الناس يطمئنون لحكمه وفصله فيسود الأمان بين القلوب وتثمر النصيحة.

وإذا شاع الكذب في المجالس سقطت هيبة الإصلاح وضاع أثره، وصار بابًا لفساد أكبر.

ثانيًا: شهادة الزور

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟»

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَوْلُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»[٢]

شهادة الزور من أكبر الكبائر، وقد قرنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالشرك وعقوق الوالدين مما يدل على خطرها العظيم.

فإذا تجرأ المصلح على شهادة زور، أو اعتمد عليها في حل النزاعات، فقد خان الأمانة الشرعية وأخلّ بمقاصد الإصلاح.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

إن مثل هذا الصلح لا يدوم، لأنه مبني على ظلم وباطل ولا يحمل من الاستقرار إلا صورة زائفة.

والعدل أساس كل إصلاح، فإذا غاب العدل كان الصلح قشرًا فارغة لا بركة فيها ولا أثر للخير يتجلّى فيه.

ثالثًا: التحيّز باللسان وإظهار الباطل حقًا

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة البقرة:٤٢].

الوسائل المحرمة في الإصلاح

هذه الآية تنهى عن خلط الحق بالباطل، وهو من أخطر الوسائل القولية في مجال الإصلاح.

فكثير من الناس قد يُظهرون الظالم مظلومًا، أو يجعلون الباطل حقًا بلسانهم، ليكسبوا طرفًا دون آخر.

وهذا ليس إصلاحًا، بل إفساد مغلف باللين. فالمصلح الحق هو من يقول كلمة العدل، ولو خسر ودّ أحد الطرفين.

رابعًا: التغاضي عن الظلم بالكلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [سورة البقرة:٢٨٣].

كتمان الشهادة ذنب عظيم، ومن صور ذلك أن يتغاضى المصلح عن ظلم ظاهر، فيسكت أو يبرره بالكلام.

إن ترك الشهادة أو تزويرها بحجة الإصلاح يؤدي إلى هضم الحقوق وزيادة الأحقاد وتحويل الصلح إلى أداة للظلم.

الإصلاح الحق لا يسكت عن الظلم، بل يعترف به ثم يوجه الطرفين

إلى الصبر أو العفو أو أخذ الحق بالعدل.

ومن سكت على باطل لم يكن مصلحًا، بل مشاركًا في الجريمة مخالفًا للشرع ومقاصد الخير.

خامسًا: إشاعة الأسرار والغيبة والنميمة

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ» أي نمام[(١)].

النميمة من أعظم ما يفسد ذات البين، فهي تنقل الكلام بين المتخاصمين على أسوأ وجه، فتزيد الشقاق وتؤجج العداوة وتضعف روابط الثقة والمحبة.

الوسائل المحرمة في الإصلاح

والمصلح الحق هو من يكتم الأسرار ويصون الألسنة، ويحرص على حفظ العلاقات، لا من ينقل الكلام فيفسد القلوب ويعطل الإصلاح.

فإذا عرف الناس أن المصلح ينقل كلامهم ضاعت الثقة به، وسقط مقامه، وأصبح سببًا للفتنة بدل أن يكون سببًا لإطفائها.

المبحث الثاني: الوسائل العملية والمالية المحرمة

أولًا: الظلم في الحقوق المالية

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٨].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

من صور الفساد أن يستعمل المصلح موقعه في إلزام الناس بما لا يلزمهم، أو يظلم أحد الأطراف في حقوقه المالية بحجة إنهاء النزاع.

وهذا ظلم صريح نهى الله عنه، فالمال من أعظم ما تقع فيه الخصومات.

إذا لم يكن المصلح قائمًا على العدل في المال، فإن الصلح يكون نقمة لا نعمة، وينقلب إلى باب آخر للعداوة والخصام.

ثانيًا: استعمال الرشوة

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ فِي الحُكْمِ»(١)

الرشوة من كبائر الذنوب، ولعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طرفيها، فكيف إذا صارت وسيلة لإقرار صلح باطل! إن المصلح إذا أخذ الرشوة فقد خان أمانته، وصار محاميًا للباطل، وضيّع حق الله.

والناس إذا شعروا أن الصلح لا يتم إلا بالمال الحرام، ضاعت الثقة في الإصلاح كله. ولهذا حرم الشرع هذا المسلك سدًا لباب الفساد.

ثالثًا: إدخال شروط باطلة في الصلح

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِئَةَ شَرْطٍ»(٢)

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وصححه الألباني «الجامع الصغير» (٩٢٢٤).

(٢) رواه البخاري (٢١٦٨)، ومسلم (١٥٠٤).

هذا الحديث أصل عظيم في العقود والصلح.

فإدخال شرط يخالف كتاب الله أو سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يجعل الاتفاق باطلًا.

فإذا تنازل المصلح عن هذا الأصل، بحجة إرضاء الطرفين، فهو يهدم البناء من أساسه.

الإصلاح في الإسلام ليس أي اتفاق يرضى به المتخاصمون، بل هو اتفاق منضبط بالشرع. فالعبرة بالحل الشرعي لا برضا الناس وحده.

رابعًا: الميل العملي لطرف دون آخر

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [سورة النحل: ٩٠].

من أخطر صور الفساد العملي أن يميل المصلح بعمله أو حكمه إلى طرف على حساب الآخر.

فهذا الميل يسقط هيبته، ويجعل أحد الطرفين يشعر بالظلم، فيستعر النزاع من جديد.

والعدل هو الأساس الذي يقوم عليه الإصلاح، ومن ضيّع العدل لم يصلح ولو جمع الناس على توقيع اتفاق.

المبحث الثالث: الوسائل العقدية والمنهجية المحرمة

أولًا: التحاكم إلى الأعراف الجاهلية أو القوانين الوضعية

قال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

لا يصح أن يكون الإصلاح بتحكيم قوانين تخالف شرع الله، أو أعراف جاهلية تقوم على العصبية والقبلية.

فهذه ليست إصلاحًا، بل إفسادًا باسم الإصلاح.

من ترك حكم الله إلى حكم الناس فقد ضل سواء السبيل. الإصلاح الشرعي لا يكون إلا بما أنزل الله، وإلا كان صورة باطلة تجر الناس إلى فتنة أشد.

ثانيًا: الإصلاح على حساب العقيدة

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥﴾ [سورة الممتحنة: ٥].

من أعظم الانحرافات أن يجعل المصلح العقيدة مجالًا للمساومة بحجة الإصلاح.

فالتوحيد أصل الدين، ولا يجوز التنازل عنه لإرضاء طرف أو لتحقيق سلام ظاهري.

إبراهيم عليه السلام وأتباعه قدوة في الثبات على العقيدة، حتى مع أشد الخصومات. فكيف يسوغ لمسلم أن يبيع دينه تحت شعار الإصلاح؟!

ثالثًا: الحلف أو الصلح بألفاظ شركية (كقولهم: بجاه الله والنبي)

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»(١)

كثير من الناس إذا جلسوا في الصلح قالوا: «جاه الله عليك»، وهذا اللفظ «جاه الله عليك» محرم شرعًا، لأنه يتضمن ما يسيء إلى الله تعالى في اللفظ والمعنى، أو يوحي بالذم لله سبحانه وتعالى، وهذا من الأمور الخطيرة التي حذر منها الشرع.

فالواجب على المسلم تجنب كل كلام فيه إهانة أو ذم لله أو الرسل أو الدين، والالتزام بالقول الطيب والدعاء بالخير للناس حتى في الغضب.

وكذلك لفظ «الله والنبي» يقرنون غير الله بالله بواو العطف، وهذا من أخطر الألفاظ على العقيدة، لأنه يتضمن تسوية المخلوق بالخالق في التعظيم. فالجاه والحق والوسيلة لا تُطلب إلا من الله وحده، ولا يجوز جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أو غيره واسطة في الصلح بلفظ يوهم أنهم شركاء لله.

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ: نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ.

وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: «أَمَا وَاللهِ! إِنْ كُنْتُ لَأَعْرِفُهَا لَكُمْ، قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ»(٢)

---

(١) رواه البخاري (٢٦٧٩) ومسلم (١٦٤٦).

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢١١٨) وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٧٢١)

هذا الحديث يدل على أهمية التفريق بين الخالق والمخلوق في القول والإشادة، وعدم جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ شريكًا لله في الإرادة أو الفعل، فقول «ما شاء الله ثم شاء محمد» لا يُنسب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الإرادة الإلهية، بل يُذكر في محل الاحترام دون تجاوز حدود التوحيد.

فيجب الحذر من مثل هذه الألفاظ، لأنها ذريعة للشرك.

الوسائل المحرمة في الإصلاح

والإصلاح الذي يُبنى على مثل هذه الصيغ إصلاح فاسد، لأنه يفسد العقيدة من أصلها. والواجب على المصلحين أن ينبهوا الحاضرين إلى هذا الخطر، وأن يستبدلوا به ما هو مشروع من الحلف بالله وحده.

رابعًا: الذبح في الصلح عند الخصومات وهو ما يسمى بـ (الهَجَر)

من العادات التي شاعت عند بعض القبائل: إلزام المتخاصمين بذبح ذبائح عند الصلح، أو ما يسمونه الهجر، حتى تطيب نفوس الأطراف.

وقد بيّن العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: أن هذا الفعل لم يكن على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه، مع كثرة ما وقع بينهم من خصومات.

فقد حصل ضرب بين رجل وامرأته حتى اخضرّ جلدها، وحصل

---

(١) ملخصة من تطبيق فتاوى العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: وانظر الصوتية على هذا الرابط http://muqbel.net/files/fatwa/muqbel-fatwa٣٨٦mp٣

تضارب بين الصحابة في قضية عبد الله بن أبيّ، وحصل خصام في قصة الإفك، بل وقعت مشادة بين مهاجري وأنصاري حتى قال كل منهما: يا آل الأنصار، يا آل المهاجرين.

ومع ذلك ما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اذْبَحُوا أَوْ طَهِّرُوا الْمَكَانَ أَوْ قَدِّمُوا شَيْئًا مِنَ الذَّبَائِحِ، بَلْ قَالَ: «أَبْدَعُوا الجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»[1]

الوسائل المحرمة في الإصلاح

ولهذا فذبح الذبائح في الصلح بدعة جاهلية، وهو داخل في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»[2] فالذبيحة التي تجعل لإرضاء الناس أو إصلاح النفوس ليست لله، بل لغيره، فهي محرمة لا يجوز أكلها. لكنها - كما قال الشيخ - لا تبلغ حد الشرك الأكبر إذا لم يقصد بها العبادة، لكنها من المحرمات الكبرى، وتسد أبواب الخير بدل فتحها.

فإذا ألزمك أحد بمال، فادفعه إن خشيت الفتنة، أما الذبح للهجر فلا يجوز. والبدائل المشروعة كثيرة: طلب العفو، التحكيم بشرع الله، أو الصلح بالكلمة الطيبة.

أما من أبى حكم الله فليس على الإسلام نقص بموته.

خامسًا: تقريب المذاهب والملل على حساب الحق

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران:١٩].

التقريب بين الأديان أو المذاهب على حساب نصوص الوحي باطل

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم (١٩٧٨).

عظيم، لأنه يذيب الفوارق بين الحق والباطل.

الإسلام دين واحد، لا يقبل أن يُمزج بغيره.

وكل محاولة للإصلاح بهذه الطريقة هي خيانة للرسالة. فالمطلوب من المصـــلح أن يجمع القلوب على الحق، لا أن يجمعها على باطل مشترك.

الفصل الثامن:

العقبات التي تواجه المصلحين وطرق معالجتها

الفصل الثامن:

طريق الإصلاح ليس مفروشًا بالورود، بل تعترضه عقبات كثيرة؛ لأن المصلح يدخل بين خصمين غاضبين، أو جماعتين متخاصمتين، وكل طرف قد يرى أنه صاحب الحق المطلق. ولهذا يحتاج المصلح إلى معرفة هذه العقبات مسبقًا، ليتهيأ لها، ويضع لكل واحدة منها حلًّا مناسبًا.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** العقبات النفسية
- **المبحث الثاني:** العقبات الاجتماعية
- **المبحث الثالث:** العقبات المادية والسياسية

المبحث الأول: العقبات النفسية

من أصعب ما يواجه المصلح: عُقد النفوس، كالكِبر والهوى والأنانية وحب الانتصار للنفس.

فقد يرفض أحد الأطراف الإصلاح لا لأنه صاحب حق، ولكن لأنه لا يريد أن يظهر وكأنه تنازل أو خضع.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

العقبات التي تواجه المصلحين وطرق معالجتها

وهذه العقبة تعالج بالتذكير بالله، وبيان فضل العفو والإصلاح، وتذكيرهم أن الاعتراف بالخطأ فضيلة، وأن التواضع يرفع صاحبه عند الله ثم عند الناس.

المبحث الثاني: العقبات الاجتماعية

قد يكون وراء النزاع روابط قبلية أو عصبيات عائلية، تجعل الإصلاح صعبًا، لأن كل طرف يستند إلى جماعته، فيرى أن التنازل هزيمة لهم جميعًا.

وقد وقع مثل هذا في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين كسرت السنّ امرأة من بني النجار جارية من بني ليث، فاختصموا، فطلب أولياء الجارية القصاص، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالقصاص.

فقال أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَتُكْسَرُ سِنُّ فُلَانَةٍ؟»

قَالَ: «نَعَمْ».

قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسَرُ سِنُّهَ»

فرضي القوم بالدية وأصلحوا بينهم.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ»(١)

فهذا يبين أن العصبيات قد تعطل الإصلاح، لكن بالإيمان والرضا بالشرع يزول التعصب، وتعود القلوب إلى العدل والإنصاف.

المبحث الثالث: العقبات المادية والسياسية

أحيانًا يكون سبب النزاع المال أو المناصب، فيصعب الإصلاح لأن كل طرف يتمسك بمصالحه.

العقبات التي تواجه المصلحين وطرق معالجتها

وقد يكون وراء النزاع تحريض من أطراف خارجية تستفيد من بقاء الخصومة.

قال الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وهذه العقبات لا تعالج إلا بالصبر وطول النفس، مع السعي لتقريب المصالح المشروعة، وبيان أن الدنيا زائلة، وأن بقاء الأمة ووحدتها أعظم من أي مكسب زائل.

خلاصة الفصل:

المصلح لا بد أن يواجه صعوبات، بعضها نفسي، وبعضها اجتماعي، وبعضها مادي وسياسي.

فإذا عرفها وأعد لها العدة من الحكمة والصبر والإيمان والاستعانة بالله، استطاع أن يتجاوزها، بعون الله ويكون مفتاح خير للأمة.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٥).

الفصل التاسع:

الإصلاح وأثره في تقوية الأخوة الإيمانية

الأخوة في الله رباط عظيم، جعلها الإسلام أقوى من رابطة النسب والدم، وحذّر من كل ما يضعفها، من الغيبة والنميمة والحسد والخصومات. ولأجل حفظ هذه الأخوة، شُرع الإصلاح بين المؤمنين، ليبقى المجتمع متماسكًا، والقلوب صافية، والصف واحدًا.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** الأخوة الإيمانية وأثرها في المجتمع
- **المبحث الثاني:** دور الإصلاح في تقوية هذه الأخوة
- **المبحث الثالث:** نماذج من الأخوة الصادقة في زمن السلف

المبحث الأول: الأخوة الإيمانية وأثرها في المجتمع

الأخوة في الإسلام ليست مجرد شعار، بل هي حقيقة عملية.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فجعل المؤمنين إخوة في العقيدة والولاء والموالاة.

والأخوة الإيمانية إذا استقرت، أثمرت نصرة متبادلة، ورعاية متواصلة، وشفقة صادقة، حتى يكون المؤمنون كالجسد الواحد.

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(١)].

الإصلاح وأثره في تقوية الأخوة الإيمانية

المبحث الثاني: دور الإصلاح في تقوية هذه الأخوة

إذا وقع النزاع بين الإخوة، تزلزلت الأخوة الإيمانية، وربما انهارت إن لم يُتدارك الأمر.

فجعل الله الإصلاح بين المؤمنين من تمام الأخوة، بل قرن بينهما في آية واحدة:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وهذا يدل على أن الأخوة لا تكمل إلا بالإصلاح، فإذا ترك المسلمون الإصلاح ضاع معنى الأخوة، وصاروا كالأعداء المتنازعين.

أما إذا سعوا في الإصلاح، تقوت الأخوة حتى تصبح حصنًا منيعًا أمام الفتن.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ

---

(١) رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٧)

وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»(١)

فالإصلاح يقوّي الأخوة، وفساد ذات البين يحلق الدين من جذوره.

المبحث الثالث: نماذج من الأخوة الصادقة في زمن السلف

آخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، فكان الرجل يعرض نصف ماله على أخيه، بل وطلاق زوجته ليتزوجها ومن أعظم النماذج في ذلك ما جاء عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَآخَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ.

فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتْ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ...»(٢) الحديث

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: «ثَلَاثٌ يُصَفِّينَ لَكَ وُدَّ أَخِيكَ: تَبْدَؤُهُ فِي السَّلَامِ، وَتُوَسِّعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسَامِي إِلَيْهِ»(٣)

فهذه النماذج تبين كيف أن الإصلاح كان يحفظ الأخوة بينهم،

---

(١) رواه أبو داود (٤٩١٩) والترمذي (٢٥٠٩) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٧٠).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤)

(٣) رواه أبو الشيخ في «الفوائد لأبي الشيخ الأصبهاني» (ص٤٣)

ويجعل المجتمع الإسلامي متماسكًا رغم تنوع أفراده.

خلاصة الفصل:

إن الأخوة الإيمانية لا تدوم إلا بالإصلاح، والإصلاح لا ينجح إلا إذا انطلق من روح الأخوة.

فهما متلازمان: الأخوة تحفظ الإصلاح، والإصلاح يقوّي الأخوة.

وبهذا يبقى المجتمع الإسلامي متماسكًا أمام الفتن والمؤامرات.

الفصل العاشر:

الإصلاح في العصر الحاضر وتطبيقاته العملية

الفصل العاشر:

أمتنا اليوم أحوج ما تكون إلى الإصلاح، فقد كثرت النزاعات في البيوت، والخصومات في الأسواق، والخلافات بين الجماعات، بل حتى بين الدول الإسلامية.

والإصلاح في هذا العصر يواجه تحديات جديدة تختلف عن الأزمنة الماضية، لكنه يظل واجبًا شرعيًا ومطلبًا اجتماعيًا.

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** صور النزاعات المعاصرة وحاجة الناس إلى الإصلاح
- **المبحث الثاني:** الوسائل العصرية في الإصلاح
- **المبحث الثالث:** التحديات التي تواجه المصلحين في العصر الحديث

المبحث الأول: صور النزاعات المعاصرة وحاجة الناس إلى الإصلاح

كثرت صور النزاع في هذا العصر:

خلافات أسرية بسبب ضغوط المعيشة، أو تأثير الإعلام، أو ضعف الوازع الديني.

نزاعات مالية بين الشركاء والتجار بسبب الطمع أو الغش.

خصومات قبلية وجهوية تؤججها العصبيات.

صراعات فكرية ومذهبية داخل المجتمع الواحد.

وكل هذه النزاعات إذا تُركت دون إصلاح، تولد أحقادًا متراكمة، وتمزقًا اجتماعيًا.

ولهذا صار الإصلاح ضرورة لحفظ الاستقرار في المجتمعات الإسلامية.

المبحث الثاني: الوسائل العصرية في الإصلاح

لقد هيأ الله تعالى في هذا العصر وسائل عديدة ومتنوعة، يمكن أن تكون بعد توفيقه عونًا للمصلحين في أداء رسالتهم، وتفتح لهم أبوابًا جديدة للوصول إلى القلوب والعقول، بما يسهم في نشر الحق والإصلاح وحفظ وحدة المجتمع.

أولًا: الهيئات الشرعية والمرجعيات العلمية

يُعدّ العلماء الراسخون، وأئمة المساجد، والمشايخ الثقات من أهل السنة، والمحاكم الشرعية، من أهم ركائز الإصلاح.

فالناس يقبلون حكمهم، ويثقون بفتواهم، وتُعتمد قراراتهم عند

الجهات الرسمية.

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل: ٤٣].

فهذا أصل في الرجوع إلى العلماء في قضايا النزاع.

ثانيًا: حضور مجالس العلم والدروس الشرعية

من أعظم الوسائل العصرية المؤثرة: حضور حلقات العلم، وخطب الجمعة، والمحاضرات الشرعية لأهل السنة، فهي تُصلح القلوب قبل أن تُصلح العلاقات، وتزرع في النفوس حب الصفح والتسامح.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ...»[(١)]

وهذه السكينة التي تنزل على المجالس العلمية تُهيئ القلوب للتقارب، وتزيل أسباب الخصومة.

ثالثًا: الوسائل الصوتية والإعلامية

ومنها: الأشرطة، والدروس المسجلة، والبرامج الإذاعية، فهي تُذكّر المتخاصمين، وتُعلّم الناس فقه الإصلاح.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»[(٢)]

والتبليغ يشمل كل وسيلة مسموعة أو مكتوبة أو مرئية.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) البخاري (٣٤٦١).

رابعًا: وسائل التواصل الاجتماعي

رغم مخاطرها، إلا أن المصلح الحكيم يستفيد منها في نشر الخير:

إرسال آيات وأحاديث تحث على العفو والتسامح.

مشاركة قصص المصلحين وتجاربهم الناجحة لتكون قدوة للآخرين.

تذكير الناس بفضل الإصلاح وأثره العظيم بأقصر الطرق وأسرعها بما يضمن وصول الرسالة إلى القلوب والعقول.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

خامسًا: الصلح القبلي الموثق

خاصة في المجتمعات القبلية، حيث تُكتب وثائق صلح واضحة برعاية الوجهاء والشيوخ والجهات الرسمية، فيُغلق بذلك أبواب النزاع، وتُستعاد الحقوق، ويُحفظ الأمن الاجتماعي واستقرار المجتمع.

سادسًا: الكتابات والرسائل المؤثرة

من الوسائل النافعة: المؤلفات والرسائل والمقالات لأهل السنة، إذ قد تُحدث الكلمة المكتوبة في نفس القارئ أثرًا بالغًا، لا سيما إذا قرأها في خلوة أو عند صفاء النفس.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يكتب الرسائل إلى الملوك، وفي هذا دليل على اعتماد الكتابة وسيلة للإصلاح والدعوة.

سابعًا: الوساطة الأسرية

وقد دلّ عليها القرآن بقوله: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥].

فالوساطة الأسرية اليوم إذا امتازوا بالحكمة هم صورة معاصرة من هذا التوجيه القرآني، إذ يُستعان بمراكز إصلاح أسرية، أو حكماء العائلة، لإصلاح ذات البين.

ثامنًا: الأوقاف المخصصة للإصلاح

يمكن أن يوقف أهل الخير أموالًا تُصرف في تسديد الديات أو قضاء الديون أو التعويضات، لتسهيل الصلح والإصلاح بين الناس.

جاء عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»(١)

ويشمل هذا الحديث المساهمة بالمال لتيسير الإصلاح، لما فيه من حفظ الحقوق وتقوية الروابط الاجتماعية ومنع الفتنة.

خلاصة المبحث

إن الوسائل العصرية في الإصلاح كثيرة ومتنوعة، تبدأ بالعلماء وهيئاتهم، وتشمل حضور الدروس والمحاضرات، وسماع الأشرطة، والاستفادة من الإعلام والتواصل، وتنتهي بالمبادرات المجتمعية والأوقاف.

ومع اتساع هذه الوسائل، تبقى الروح الحاكمة للإصلاح هي

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٤٦) وحسنه الألباني في «الجامع الصغير» (٥٦٠٠)

الحكمة والعدل والإخلاص.

فإذا اجتمعت هذه المعاني مع الوسائل الحديثة، أصبح الإصلاح أرسخ، وأثبت أثرًا في القلوب والمجتمعات، وحافظ على وحدة الأمة واستقرارها.

المبحث الثالث: التحديات التي تواجه المصلحين في العصر الحديث

ضعف الوازع الديني:

كثير من الناس لا يقبلون الإصلاح إلا إذا وافق هواهم، فيصعب على المصلح أن يغير السلوك أو يوجه القلوب، ويزداد التحدي في إيصال النصيحة بفعالية.

التدخلات الخارجية:

بعض القوى تستفيد من بقاء النزاعات والانقسامات، فتعطل جهود المصلحين، وتزيد من صعوبة توحيد الصفوف ونشر الخير بين الناس.

الإعلام المضلل:

يعمل على تضخيم الخلافات وتأجيجها بدل تهدئتها، فيزيد الفرقة بين الناس ويعيق جهود المصلحين في الإصلاح والوئام الاجتماعي.

التعصب الحزبي أو المذهبي:

يجعل الإصلاح صعبًا للغاية، إذ يرى كل طرف نفسه على الحق المطلق، فيُعقد الحوار وتزداد مقاومة الناس لتقبل النصيحة والإصلاح.

وهذه التحديات تستلزم من المصلحين وعيًا كبيرًا، وأن يكونوا

على قدر من الحكمة والصبر، وأن يستعينوا بالوسائل الرسمية والشعبية معًا ليصلحوا بين الناس.

خلاصة الفصل

الإصلاح في العصر الحاضر ضرورة حياة، وهو واجب على أهل الخير والعلماء والدعاة وأصحاب النفوذ.

ومع كثرة التحديات، يبقى الأمل كبيرًا إذا اجتمعت النية الصادقة، وتعاونت الجهود، وسلك المصلحون الطرق الشرعية الصحيحة.

فبهذه المعاني تُستعاد وحدة الأمة، وتُحفظ الحقوق، ويزداد أثر الخير والاستقامة في المجتمع.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُنال الخيرات والبركات، وبعونه تُدرَك المقاصد والغايات، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره.

أما بعد:

فقد طُويت هذه الأوراق القليلة، الموسومة بـ: «**سبيل الفلاح في فقه الصلح والإصلاح**»، وهي جهد متواضع، وخطوات يسيرة، قصدتُ بها التذكير بمقام الإصلاح وفضله، وبيان شيء من أحكامه وضوابطه وآداب أهله، مع إشارات إلى تطبيقاته في حياة السلف الصالح، ووسائله في زماننا الحاضر.

ولا يخفى أن هذا البحث ليس استيعابًا ولا استقصاءً، وإنما هو مختصر موجز، أودعتُ فيه أهم ما تيسر من المعاني، وأبرز ما يحتاج إليه المصلح في سيره، مع علمي أن الباب واسع، والمسائل أكثر من أن تُحصى في مثل هذا المقام.

وقد ظهر لنا جليًا أن الصلح والإصلاح أصلان عظيمان، بهما تجتمع الكلمة بعد شتاتها، وتصفو القلوب بعد عداوتها، وتُطفأ نار الفتن

قبل اشـتعالها، وأن المصـلحين هم ورثة الأنبياء في حمل هذه الأمانة العظيمة.

كما ظهر أن الإصـلاح لا يُثمر إلا مع الإخلاص، ولا يـدوم إلا بالحكمة والرفق، ولا ينجح إلا بالصبر وكتمان الأسرار، وأن الوسائل العصرية إنما هي خادمة لهذه المعاني، فإن استُعملت في الخير بارك الله فيها، وإن جُعلت سبيلًا للفضائح والعداوات صارت شرًّا على أهلها.

وبالجملة: فهذا جهد مقصِّـر، قصـدتُ به الدلالة على الأصـول، والتنبيه إلى الأهم، ليكون معينًا للمصـلحين، وتـذكرة للمتنـازعين، ودعوةً لكل مسـلم أن يسـعى في جمع القلوب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

الخاتمة

أسـأل الله الكريم أن يجعله خالصًـا لوجهه، مباركًا في أثره، نافعًا لكاتبه وقارئه، وذخرًا يوم يلقى العبد ربَّه بعمله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمت المراجعة النهائية للكتاب في تاريخ ١٧ربيع أول لعام ١٤٤٧من هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

جدول المحتويات

المقدمة..... ٤

الفصل الأول:..... ٨

التعريف بالصلح والإصلاح والفرق بينهما..... ٨

وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:..... ٨

المبحث الأول: تعريف الصلح لغةً واصطلاحًا ٩

أولًا: الصلح في اللغة..... ٩

ثانيًا: الصلح في الاصطلاح..... ٩

المبحث الثاني: تعريف الإصلاح لغةً واصطلاحًا..... ٩

أولًا: الإصلاح في اللغة ٩

ثانيًا: الإصلاح في الاصطلاح ٩

المبحث الثالث: الفرق بين الصلح والإصلاح ١٠

من حيث الطبيعة:..... ١٠

من حيث المجال:..... ١٠

من حيث الغاية:..... ١٠

من حيث الحكم الفقهي:..... ١٠

الفصل الثاني:..... ١١

جدول المحتويات

فضائل الإصلاح ١١
وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: ١١
المبحث الأول: فضائل الإصلاح في القرآن الكريم ١٢
المبحث الثاني: فضائل الإصلاح في السنة النبوية ٢٠
المبحث الثالث: أثر الإصلاح في حياة الأفراد والمجتمعات ٢٧
حفظ القلوب من الأحقاد: ٢٧
صيانة الدماء والأموال: ٢٧
تقوية الأخوة الإيمانية: ٢٧
دفع الفتن قبل وقوعها: ٢٧
الفصل الثالث: ٢٩
أحكام الصلح في الشريعة الإسلامية ٢٩
وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث رئيسة: ٢٩
المبحث الأول: تعريف الصلح وحكمه وأدلته الشرعية ٣٠
المبحث الثاني: أركان الصلح وشروط صحته ٣٠
أولًا: أركان الصلح ٣١
ثانيًا: شروط صحة الصلح ٣٣
ثالثًا: الحكمة من هذه الشروط ٣٤
المبحث الثالث: أنواع الصلح في الفقه الإسلامي ٣٤

جدول المحتويات

أولًا: الصلح في الأموال..... ٣٤

ثانيًا: الصلح في الدماء والجنايات..... ٣٥

ثالثًا: الصلح في النكاح والعلاقات الأسرية..... ٣٦

رابعًا: الصلح في الحدود والقصاص ٣٧

والخلاصة:..... ٣٩

خامسًا: الصلح بين الجماعات والدول ٣٩

سادسا: الإصلاح بين الحاكم والمحكوم ٤٠

سابعا: الصلح مع غير المسلمين..... ٤٣

ثامنا: مفاسد ترك منهج الإصلاح الشرعي ٤٤

إراقة الدماء:..... ٤٤

ضياع الأمن والاستقرار:..... ٤٤

استغلال الأعداء:..... ٤٤

تشويه صورة الدعوة:..... ٤٥

الشقاق بين المسلمين:..... ٤٥

تاسعا: نماذج من السلف في الإصلاح بين الحاكم والمحكوم ... ٤٦

نصيحة أسامة بن زيد لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..... ٤٦

ابن عباس مع الحجاج..... ٤٧

الإمام أحمد بن حنبل مع الخلفاء ٤٧

الفصل الرابع:..... ٤٩
الإصلاح في النزاعات الاجتماعية والأسرية ٤٩
وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:..... ٤٩
المبحث الأول: الإصلاح في الخلافات الزوجية والأسرية..... ٥٠
الإصلاح عند خوف النشوز أو الإعراض..... ٥٠
الإصلاح في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ..... ٥١
الإصلاح بالقول الحسن ٥٢
الخلاصة:..... ٥٢
المبحث الثاني: الإصلاح في النزاعات القبلية والاجتماعية ٥٣
المبحث الثالث: أثر الإصلاح في تحقيق الأمن المجتمعي ٥٥
الفصل الخامس:..... ٥٧
آداب المصلح وشروط نجاحه ٥٧
وقد اشتمل هذا الفصل على ستة مباحث:..... ٥٧
المبحث الأول: إخلاص النية وطلب الأجر من الله..... ٥٩
المبحث الثاني: الحكمة في القول والعمل..... ٥٩
المبحث الثالث: الصبر وطول النفس..... ٦١
المبحث الرابع: كتمان الأسرار وضبط اللسان في مجالس الإصلاح
..... ٦٢

جدول المحتويات

والخلاصة:..... ٦٣
المبحث الخامس: نماذج من الإصلاح في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ..... ٦٤
١ - وضع الحجر الأسود قبل البعثة ٦٤
٢ - صلح الحديبية:..... ٦٥
٣ - إصلاح ذات البين بين الصحابة ٦٥
٥ - صلح كعب بن مالك مع ابن أبي حدرد في الدين..... ٦٥
٦ - إصلاح عبد الله بن الزبير مع الأنصار ٦٦
٧-إصلاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين الأوس والخزرج.... ٦٧
٧ - الصلح بين الحسن ومعاوية (عام الجماعة) ٦٧
خلاصة الفصل:..... ٦٨
المبحث السادس: الإصلاح بين الدعاة وطلاب العلم ٦٨
من أسباب الخلاف عند بعضهم ٦٩
حظوظ النفوس والأغراض الخفية:..... ٦٩
سوء الظن وعدم التثبت:..... ٦٩
الهوى والتعصب:..... ٦٩
مفاسد هذه الخلافات..... ٦٩
تشتيت الشباب:..... ٦٩

جدول المحتويات

جدول المحتويات

إسقاط هيبة العلماء:..... ٧٠
الفرح لأعداء السنة:..... ٧٠
وسائل الإصلاح بينهم..... ٧٠
نماذج من السلف ٧٠
خلاصة المبحث ٧١
الفصل السادس:..... ٧٢
الضوابط الشرعية للإصلاح ومنع الانحراف فيه ٧٢
وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: ٧٢
المبحث الأول: قاعدة «الصلح جائز إلا ما أحلّ حرامًا أو حرّم حلالًا»..... ٧٣
المبحث الثاني: وجوب العدل في الإصلاح ٧٣
المبحث الثالث: عدم تقديم المصلحة الدنيوية على المصلحة الشرعية..... ٧٤
خلاصة الفصل:..... ٧٥
الفصل السابع:..... ٧٦
الوسائل المحرمة في الإصلاح..... ٧٦
المبحث الأول: الوسائل القولية المحرمة ٧٦
أولًا: الكذب..... ٧٦

ثانيًا: شهادة الزور..... ٧٧
ثالثًا: التحيّز باللسان وإظهار الباطل حقًا ٧٨
رابعًا: التغاضي عن الظلم بالكلام..... ٧٨
خامسًا: إشاعة الأسرار والغيبة والنميمة..... ٧٩
المبحث الثاني: الوسائل العملية والمالية المحرمة..... ٧٩
أولًا: الظلم في الحقوق المالية ٧٩
ثانيًا: استعمال الرشوة..... ٨٠
ثالثًا: إدخال شروط باطلة في الصلح..... ٨٠
رابعًا: الميل العملي لطرف دون آخر..... ٨١
المبحث الثالث: الوسائل العقدية والمنهجية المحرمة ٨١
أولًا: التحاكم إلى الأعراف الجاهلية أو القوانين الوضعية..... ٨١
ثانيًا: الإصلاح على حساب العقيدة..... ٨٢
ثالثًا: الحلف أو الصلح بألفاظ شركية (كقولهم: بجاه الله والنبي)
..... ٨٢
رابعًا: الذبح في الصلح عند الخصومات وهو ما يسمى بـ(الهَجَر)
..... ٨٤
خامسًا: تقريب المذاهب والملل على حساب الحق ٨٥
الفصل الثامن:..... ٨٧

جدول المحتويات

العقبات التي تواجه المصلحين وطرق معالجتها..... ٨٧
وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: ٨٧
المبحث الأول: العقبات النفسية ٨٨
المبحث الثاني: العقبات الاجتماعية ٨٨
المبحث الثالث: العقبات المادية والسياسية ٨٩
خلاصة الفصل:..... ٨٩
الفصل التاسع:..... ٩٠
الإصلاح وأثره في تقوية الأخوة الإيمانية..... ٩٠
وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: ٩٠
المبحث الأول: الأخوة الإيمانية وأثرها في المجتمع..... ٩١
المبحث الثاني: دور الإصلاح في تقوية هذه الأخوة ٩١
المبحث الثالث: نماذج من الأخوة الصادقة في زمن السلف..... ٩٢
خلاصة الفصل:..... ٩٣
الفصل العاشر:..... ٩٤
الإصلاح في العصر الحاضر وتطبيقاته العملية ٩٤
وقد اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: ٩٤
المبحث الأول: صور النزاعات المعاصرة وحاجة الناس إلى الإصلاح..... ٩٥

جدول المحتويات

جدول المحتويات

المبحث الثاني: الوسائل العصرية في الإصلاح..... ٩٥
أولًا: الهيئات الشرعية والمرجعيات العلمية ٩٥
ثانيًا: حضور مجالس العلم والدروس الشرعية..... ٩٦
ثالثًا: الوسائل الصوتية والإعلامية ٩٦
رابعًا: وسائل التواصل الاجتماعي..... ٩٧
خامسًا: الصلح القبلي الموثق..... ٩٧
سادسًا: الكتابات والرسائل المؤثرة..... ٩٧
سابعًا: الوساطة الأسرية ٩٨
ثامنًا: الأوقاف المخصصة للإصلاح..... ٩٨
خلاصة المبحث..... ٩٨
المبحث الثالث: التحديات التي تواجه المصلحين في العصر الحديث..... ٩٩
ضعف الوازع الديني:..... ٩٩
التدخلات الخارجية:..... ٩٩
الإعلام المضلل:..... ٩٩
التعصب الحزبي أو المذهبي: ٩٩
خلاصة الفصل ١٠٠
الخاتمة..... ١٠١

جدول المحتويات ١٠٣
تلخيص الفوائد ١١٣

جدول
المحتويات

تلخيص الفوائد

تلخيص

الفوائد

تلخيص

الفوائد

صدر حديثًا للمؤلف

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد انور - الشارع الشرقي من الفادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضرموت سيئون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم - ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com

تلخيص

الفوائد